

القدس والخليل في الرحلات المغربية

رحلة ابن عثمان نموذجاً

تقديم وتحقيق

د. عبد الهادي التازي

عضو أكاديمية المملكة المغربية

منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة - إيسيسكو - 1418 هـ / 1997 م

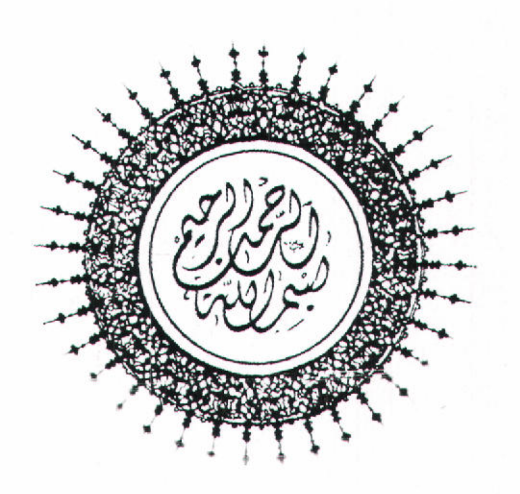
التصفيف والتوضيب بالإيسيسكو

رقم الإيداع القانوني :1997/1648

ردمك 0-127-26-9981

السحب : مطبعة المعارف الجديدة

الرباط ـ المملكة المغربية



وجعلنا بعضكم لبعضٍ فتنة، أتصبرون ؟

(سورة الفرقان، الآية 20)

الرسالة التاريخية التي بعث بها جلالة الملك الحسن الثاني إلى قداسة البابا بولس السادس بتاريخ (22 ربيع الأول 1317هـ/ فاتح يوليو 1967م) حول :

"خطورة العمل الذي أقدم عليه الإسرائيليون بالقدس الشريف..."

الرسالة التي مهدت لانعقاد أول مؤتمر قمة إسلامي بالمغرب في (رجب 1389هـ/ شتنبر 1969م)

قبل العدوان الإسرائيلي فحسب، ولكنه يمس أيضا بالوضع الديني
للبقاع المقدسة، فمنذ قرون طويلة والمسلمون يرعون حرمة تلك الأماكن
التي هي مهد سيدنا عيسى بن مريم روح الله وكلمته ومسرى سيدنا
محمد عبد الله ورسوله، وفي رحابها كان أهل الأديان السماوية يتعايشون
متفاهمين متسالمين حتى اطمأن النصارى وغيرهم إلى تسامح
المسلمين وائتمنوهم على مفاتيح كنائسهم ومعابدهم ولم يسجلوا
عليهم يوما من الأيام أنهم خانوا الأمانة أو أن الثقة التي وضعوها فيهم كانت في
غير محلها وما ذلك إلا لعمق الصلات الروحية بين المسلمين والنصارى على الخصوص
ومولد التجاوب بينهم واستحكام عرى المودة التي شهد بها القرآن الكريم إذ
يقول: (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن
منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) ونظرا لهذه العلاقة المتينة بين
الديانتين أردنا أن نوجه إليكم السيد علي بن جلون وزيرنا في العدل ليبلغكم
تحياتنا ويعبر لكم عن تقديرنا ويعرب لكم عن رغبتنا في أن تستعملوا نفوذكم
الروحي لإعادة الحق إلى أهله، وإرجاع الأوضاع السياسية والدينية بالقدس الشريف
وسائر الأماكن المقدسة إلى ما كانت عليه قبل العدوان الإسرائيلي. والله تعالى
يديم على قداستكم نعمة الصحة والعافية، ويوفق جهودكم المبذولة في سبيل
السلم وصالح الإنسانية، ولقداستكم منا خالص المودة ووافر التقدير.
حرر بالقصر الملكي بالرباط في يوم السبت 22 ربيع الأول عام 1387
الموافق فاتح يوليوز سنة 1967



جلالة ملك المغرب
المملكة المغربية

الحمد لله وحده   ولا يدوم إلا ملكه

نحن عبد الله المعتمد على الله أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ملك المغرب

إلى حضرة صاحب القداسة البابا بولس السادس ووفقكم الله لما
يحبه ويرضاه، وأرشدنا وإياكم إلى سبيل الحق الذي ارتضاه، وبعد
فإنه ليسعدنا أن نوجه إليكم هذا الخطاب، المعبر عن الود الخالص
والتقدير المستطاب لحضرتكم الكريمة وتبعا لعادات حسنة
قويمة جرى عليها أجدادنا سلاطين المملكة المغربية ومن سبقهم إلى
اعتلاء كرسي البابوية، ولا يغيب عن نظر قداستكم إلى خطورة
العمل الذي أقدم عليه الإسرائيليون بالقدس الشريف من إلحاقهم المدينة
المقدسة ببلادهم كما أنكم تشعرون بما نتج عليها من أذى وتسلط بعدوان
انتهكوا حرماتها وداسوا مقدساتها واعتدوا على أهلها وعلى
حكامها الشرعيين، ولا شك قداستكم لتدركون أن هذا الإجراء
التعسفي لا يمس بالسلطة السياسية التي كانت تحكم القدس الشريف

تقديم

القدس والخليل، منارتان من منارات التاريخ الإيماني للبشرية جمعاء، شهدتا مولد الهدى، وأنوار الرسالات، لتفيض على الأرض سلاماً ورحمةً، منهما بُعثت رُسُلُ الله ليخرجوا الناس من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان.

فالقدس تحتضن المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، والذي هو أولى القبلتين وثالث الحرمين، ومسرى رسول الله محمد بن عبد الله خاتم النبيين والرسل، عليه صلاة الله وسلامه. والخليل مدينة إبراهيم عليه السلام الذي تصدى فرداً، بحول من الله وقوة، لضلالات قومه وزيغ أهوائهم ليحق الحق بإذن الله، ويزهق الباطل. فلا غرو أن تتعلق بالمدينتين الكريمتين أفئدة المسلمين جميعاً، وأن تستأثرا في أنفسهم بالذكريات الإيمانية الجياشة التي يغذيها التاريخ ويذكيها الحاضر بصنوف ابتلاء اته التي تتعرض لها المدينتان وغيرهما من حواضر فلسطين وبواديها، قهراً لأهلها، وإخفاءً لمعالمها، وإزالةً لمآثرها التاريخية الفذة، وستظل المدينتان أبداً، رمزاً لانتصار الحق وإن طال الأمد، وَعْداً من الله لنصرة أوليائه، وتطهيراً لأرض القداسات من كل رجس.

ويشاء الله أن تكون القدس وسائر الأرض السليبة هي الراية التي تنضوي تحتها الأمة الإسلامية في مسيرتها المباركة، ينطلق منها العمل الإسلاميّ المشترك، السياسي والثقافي والاجتماعي، الهادف إلى نصرة الحق وإرساء السلام في أرض السلام.

وتأكيداً على حماية القدس، وترسيخاً للتضامن الإسلامي، وانطلاقاً من التفاف الأمة الإسلامية حول المدينة المقدسة، انطلق العمل الإسلاميّ المشترك في صيغته المتطورة، فكان مؤتمر القمة الإسلامي الأول الذي عقد في رباط الفتح عاصمة المملكة المغربية، وهو المؤتمر الذي وضع الأسس لإنشاء منظمة المؤتمر الإسلامي التي كان قيامُها فتحاً غير مسبوق في تاريخ الأمة الإسلامية. ومن منظمة المؤتمر الإسلامي انبثقت لجنة القدس التي عهدت الأمة برعايتها ورئاستها إلى صاحب الجلالة الملك الحسن الثاني عاهل المملكة المغربية. ومن هذه المنظمة انبثقت أيضاً، المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة، التي تسعى في مجال اختصاصها، لحشد الجهود من أجل فلسطين وعاصمتها القدس، فأعدَّت طائفة من البرامج

ضمن خطط عملها تهدف إلى المساعدة على التنمية الإنسانية الشاملة في المدينة المقدسة وفي فلسطين عموماً، والعمل على المحافظة على الهوية الفلسطينية العربية الإسلامية التي تتعرض لمحاولات الطمس والتزييف.

في هذا الإطار العام، وفي نطاق اهتمامات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة بالقدس عاصمة الدولة الفلسطينية، يسرني أن أقدم إلى القارئ هذا الكتاب القيم الذي يحمل عنوان : " **القدس والخليل في الرحلات المغربية** "، وهو من تأليف السفير الدكتور عبد الهادي التازي عضو أكاديمية المملكة المغربية، ومؤرخ الديبلوماسية المغربية، والمدير السابق للمركز الجامعي للبحث العلمي في الرباط، والعضو في مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وفي العديد من المجامع العلمية العربية والإسلامية والدولية. وهو كتابٌ يضيف به المؤلف إلى المكتبة العربية الإسلامية، فريدةً أخرى من فرائده النفيسة، مواصلةً لجهده في ميدان التحقيق العلمي الرصين، وخدمةً جليلةً للثقافة العربية والتراث الإسلامي. وهذا الكتاب يُنبئ عن الاهتمام العميق الذي ظل يبديه المغاربة بخاصة بأحوال أرض السلام فلسطين وبقاعها المقدسة، ويُبين عن الصلة الروحية العميقة التي تربط المسلمين قاطبة بأرض القداسات عبر التاريخ.

وإذا كان لنشر هذا التأليف من دلالةٍ في الظروف الحاضرة، فإن من أبرزها التعبير الصَّريح والبيّن بأن القدس والخليل تظلان الهدف الأكبر لنضال أصحاب الحق من أجل أن تظلّ البقعتان الطاهرتان كما عرفهما التاريخ، أرضاً للسلام، وموئلاً لحوار الحضارات، وملتقى لأهل الإيمان على نحو ما كانتا عليه عندما كان يقصدهما المؤمنون من كل مكان دون خوف أو تهديد من أيّ كان، وعندما كان يلتقى فيهما الزوّار من كل جهات الأرض احتفاءً بتلك المعالم التي ظلت منارة للإنسانية جمعاء.

وإني إذ أهنئ المؤلف وأشيد بما بذله من جهد في إنجاز هذا السِّفر القيم، لأرجو اللّٰه تعالى أن ينفع به المهتمين بالتاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، إنه سميع مجيب.

الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري

المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة

القدس والخليل عند الرحالة المغاربة

بالنسبة لما نقرأه عن القدس والخليل في الكتب المشرقية أكاد أن أقول إن إخواننا في بلاد المشرق لا يعرفون الكثير عن **إسهامات التآليف المغربية** في كتابة تاريخ هاتين المعلمتين الهامتين في المأثور الإسلامي.

وعندما أذكر المشرق لا أقصد فقط إلى الكُتاب باللغة العربية ولكن كذلك إلى الكُتاب الذين اعتمدوا على الآخرين الذين ظلوا يحكمون المنطقة لأمد طويل ...

هذا طبعاً إلى إهمال الكُتاب الغربيين من الذين كتبوا عن القدس والخليل وكانوا يعتمدون فقط على الإفادات المشرقية أو على مشاهداتهم السطحية ...

راودني هذا الانطباع منذ أوائل السبعينات كلما قرأت عن تاريخ القدس والخليل، وشعرت بالحاجة إلى تذكير زملائي في تلك الديار المشرقية بأن للمغرب أيضاً ما يقوله طوال فترات التاريخ عن بيت المقدس ومدينة الخليل[1].

هذا سبب أول مما دعاني إلى إعداد هذه الدراسة، وهناك السبب الثاني الذي لابد لي أن أذكره هنا، وهو أطروحة الذين كتبوا عن القدس والخليل من بعض الباحثين يهوداً ومسيحيين ... تلك الأطروحة التي تدعي أن المسلمين لم يولوا اهتماماً بالقدس في الأيام الأولى لظهور الإسلام وأن اهتمامهم كان يتركز أولاً وبالذات على مكة والمدينة، وإنما أخذوا يهتمون ببيت المقدس عندما استولى عليها الصليبيون عام 492هـ/1099م[2]!.

فعلاً ارتبط تاريخ المغاربة بالقدس والخليل منذ الأيام الأولى التي اعتنقوا فيها الإسلام ... ولهذا فقد شدتهم إليهما نفس الأواصر التي شدتهم إلى كل من مكة والمدينة، وكان جل حجاجهم يمرون بفلسطين، عند مقفلهم من الحج، لينعموا برؤية مسرى الرسول ويحققوا الأجر في الرحلة إلى ثالث الحرمين.

عرج عليه عشرات بل مئات المغاربة الأعلام ممن كانوا نبراساً يهتدَى بهم في الديار المغربية فكانوا يعطرون بذكره المجالس وكانوا يروون عن الأئمة الأعلام الذين صادفوهم هناك ...

---

(1) د. عبد الهادي التازي : حي المغاربة بالقدس، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، المجلد الأول، العدد الثالث غشت 1972.

(2) ظهرت هذه الأطروحة في التقرير الذي قدمه البروفيسور جوهن باوكر (John Bowker) إلى منظمة اليونيسكو عندما طلبت إليه دراسة جدوى حول مشروع "طرق الأيمان" الذي قدمته المملكة المغربية، أنظر وثائق اليونيسكو رقم : CLT-92/CONE-201/7 Annex Page 5، وانظر وثائق اجتماع خبراء الديانات الثلاث، نونبر 1995 جريدة الميثاق الوطني 23 نونبر 1995.

ونحن نعرف القاضي الإمام عبد اللّه بن العربي الذي رحل في عهد **الدولة المرابطية** صحبة ولده القاضي أبي بكر سنة خمس وثمانين وأربعمائة (1092م) في سفارةٍ لدى الخليفة المستظهر العباسي من قبل السلطان يوسف بن تاشفين كما يروي ذلك العلامة ابن خلدون في تاريخه الشهير[1].

هذا **القاضي أبو بكر** هو صاحب (الرحلة) التي اشتهر أمرها بين المتقدمين فنقلوا عنها ما شاء اللّه أن ينقلوا.

لقد وصل أبو بكر صحبة ابنه إلى بيت المقدس، وكان فيها الإمام أبو بكر الطرطوشي الفهري من كبار علماء المالكية بالأندلس[2]، وهو **كابن العربي خرج** من بلاده في اتجاه المشرق وزار القدس فلقيه ابن العربي واستفاد منه كثيراً. ويقول ابن العربي فيما نقله عنه المقري صاحب نفح الطيب : تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبي بكر الفهري الطرطوشي في حديث أبي ثعلبة المرفوع : «إن من ورائكم أياماً للعامل فيها أجر خمسين منكم» فقالوا : بل منهم، فقال : «بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعواناً وهم لا يجدون عليه أعواناً ...».

وعن بيت المقدس أيضاً قال ابن العربي : شاهدت **المائدة** بطورزيتا مراراً وأكلت عليها ليلاً ونهاراً وذكرت اللّه سبحانه فيها سراً وجهاراً، وكانت صخرةً صلداء لا تؤثر فيها المعاول وكان الناس يقولون : مسخت صخرة ... والذي عندي أنها صخرة في الأصل وقطعت من الأرض محلاً للمائدة النازلة من السماء وكل ما حولها حجارة مثلها، وكان ما حولها محفوفاً بقصور، وقد نحتت في ذلك الحجر الصلب بيوتٌ أبوابها منها ومجالسها منها مقطوعة فيها ... وقد كنت أخلو فيها كثيراً للدرس ... " ... وكنا نفاوض الكرامية والمعتزلة والمشبهة واليهود، وكان لليهود بها حبر منهم يقال له التسترى ... وخاصمنا النصارى بها وكانت البلاد لهم يأكرون ضياعها ويلتزمون أديارها ويعمرون كنائسها ..." قال : وقد شرحت أمرها في كتاب **"ترتيب الرحلة"** بأكثر من هذا[3].

والحديث عن هذه الرحلة لم يخل منه تأليف من تآليف العصر الوسيط وأذكر في صدرها تاريخ المن بالإمامة لعبد الملك بن صاحب الصلاة[4] ...

وهناك رحالة مغربي آخر جوّال من **العهد الموحدي**، صاغ نتائج رحلاته في موسوعة جغرافية عظيمة، ذلك هو **الشريف الإدريسي السبتي** (548 هـ/1154م) - وهو شاهد عيان - صاحب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الذي يقارن فيه **المسجد الأقصى بمسجد**

---

(1) ابن خلدون، المجلد السادس ص 386 - طبعة دار الكتاب اللبناني 1956م.

(2) لا ننسى أن نذكر حديث الطرطوشي عما حدث في القدس بعد الاحتلال مما يعبر عن التعلق الزائد الذي بلغ أحياناً أن أخذ بعضهم يقول : إن من وقف ببيت المقدس أربع وقفات كان كمن حج ... وإلى درجة أن سن بعضهم صلاة "الرغائب في منتصف شعبان ..." د. أحمد مختار العبادي : القدس، التاريخ والحضارة، كلية الآداب بالإسكندرية، نونبر 1996م.

(3) المقري : نفح الطيب، تحقيق إحسان عباس، طبع بيروت (1968م) ج 2، 37 - 38. مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية، بيروت، عدد كانون الأول 1968م. ابن العربي : العواصم من القواصم، تحقيق محيي الدين الخطيب (1375هـ) - المطبعة السلفية بمصر، ص 14-15. مساجلة بين العز بن عبد السلام وابن الصلاح، تحقيق الألباني، (1380هـ) دمشق.

(4) ابن صاحب الصلاة : تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين، تحقيق د. التازي، طبعة ثالثة، بيروت (1987م) - ص 185-186.

قرطبة. فقد وصف بيت المقدس بأوصافٍ لها أكثر من دلالة - كانت تسمى إيلياء، وهي على جبل يصعد إليها من كل جانب ... ويتحدث الإدريسي عن الكنيسة العظمى المعروفة بكنيسة القيامة - ويسميها المسلمون : قمامة وهي الكنيسة المحجوج إليها من **جميع بلاد الروم** التي في مشارق الأرض ومغاربها ... وهي من عجائب الدنيا ... ولها باب من جهة الشمال ينزل منه إلى أسفل الكنيسة على ثلاثين درجة ويسمى هذا الباب باب (شنت مرية)، وعند نزول الداخل إلى الكنيسة تلقاه المقبرة المقدسة المعظمة وعليها قبة معقودة قد أتقن بنيانها وحصن تشييدها وأبدع تنميقها ... وإذا خرجت من هذه الكنيسة العظمى وقصدت شرقاً ألفيت البيت المقدس الذي بناه **سليمان** بن داود عليه السلام وكان مسجداً محجوجاً إليه في أيام دولة اليهود ثم انتزع من أيديهم وأخرجوا عنه إلى مدة الإسلام **فكان معظماً في ملك** المسلمين وهو المسجد المسمى بالمسجد الأقصى عندهم.

وليس في الأرض كلها مسجد على قدره إلا المسجد الجامع **الذي بقرطبة** من ديار الأندلس ... وفي وسط الجامع قبة عظيمة تعرف بقبة الصخرة وهذه القبة مرصعة بالفص المذهب والأعمال الحسنة من بناء خلفاء المسلمين ...

وبعد وصفٍ مسهب للصخرة يذكر أنه ينزل من أسفلها إلى سرداب كالبيت المظلم ... ولا يدخل إليه إلا بمصباح يستضاء به.

ولهذه القبة أربعة أبواب **والباب الغربي** منه يقابله مذبح كان بنو إسرائيل يقربون عليه القرابين، وبالقرب من الباب الشرقي من أبواب هذه القبة الكنيسة المسماة بقدس القدس، وهي لطيفة القدر، والقبلي منها يقابله المسقف الذي كان مصلى للمسلمين فلما استفتح الروم بيت المقدس - وبقي المصلى بأيديهم إلى وقت تأليفنا لهذا الكتاب (548 هـ/ 1154م) صيَّروا هذا المسقف من المسجد بيوتاً سكنها **الداوية** يعني خدام بيت اللّه ...

وتخرج من هذا المسجد أيضاً شرقاً فتصل إلى باب الرحمة ... وبالقرب من هذا الباب باب آخر مفتوح يعرف بباب الأسباط ... وإذا خرجت من باب الأسباط ... تجد كنيسة كبيرة حسنة جداً على اسم السيدة مريم ويعرف المكان بالجسمانية ...

وبعد حديث آخر عن الكنائس وعن الرهبان والراهبات ينتقل إلى ما يلي بيت المقدس في ناحية الجنوب حيث كنيسة صهيون وفيها **المائدة** باقية إلى الآن، يقول الإدريسي[1] ...

ومن باب صهيون تنزل في **خندق يعرف** بوادي جهنم، وفي هذا الخندق عين السلوان وهي العين التي أبرأ فيها السيد المسيح الضرير الأعمى ...

وعندما يتحدث الإدريسي عن مدينة الخليل يقول : "إنها قرية ممدنة وبمسجدها قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وكل قبر من قبورهم تجاه قبر امرأة صاحبه، وهذه المدينة في وهدة بين جبال كثيفة الأشجار أعني شجر الزيتون والتين **والجمّيز**[2] وفواكه كثيرة ...".

---

(1) AL-IDRISI: OPUS Geographicum V 4 P 358-363. INSTITUTO UNIVERSITARIO Orientale di Napoli.

(2) الجميز : نوع من التين (SYCOMORE).

وبعد الشريف الإدريسي لا تفوتني الإشارة إلى مخطوطة **لأبي إسحاق إبراهيم المكناسي** من رجال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، وهي تقع في إحدى وستين ورقة، تحتوي كل ورقة منها على وجهين : تلك مائة واثنتان وعشرون صفحة وتنقسم مادة المخطوطة إلى قسمين كبيرين : أولهما فضائل بيت المقدس ... وفي هذا النطاق يجد قارئ المخطوطة مجموعة كبيرة من المواضيع، مثلاً : اشتقاق بيت المقدس، والترغيب في سكنى بيت المقدس، إعمال المطي إلى المساجد الثلاثة، تحويل القبلة وما جاء في الصخرة من أنها (تزار ولا تزور)، ثم الحديث عن فتح بيت المقدس.

وقد كان من تلك المخطوطات كتاب "المستقصى في فضائل المسجد الأقصى" **لنصر الدين محمد العلمي المغربي**، وقد جاءت فيه ترجمته لأحد المغاربة من مكناس أيضاً كان هو أبو عبد الله محمد المكناسي الذي يذكر ابن خلكان في تاريخه أنه رحل إلى بيت المقدس من المغرب وأدركته المنية في القدس في عاشر شوال سنة ست وخمسين وستمائة (10 أكتوبر 1258م)[1].

واستمرت زيارات المغاربة للقدس مرتبطة برحلاتهم إلى الحرمين الشريفين : مكة والمدينة وكأنهم بوصفهم للقدس والخليل أرادوا نقل صورة المكانين إلى المغرب كي يسعد المواطنون بتخيّلهما. وقد كان من أشهر هؤلاء أيضاً **أبو عبد الله محمد العبدري الحيحي** في أواخر القرن السابع الهجري (688-689 هـ/ 1290م)[2].

ويلاحظ أن العبدري ابتدأ بزيارة مدينة الخليل : "المحل الأنيس والمعهد الذي يتخير فيه مقيل وتعريس والمنزل الذي حكم له القدر السعادة حين التأسيس ... وهي قرية مليحة المنظر والمخبر ... والمسجد بنيته أنيقة، من المباني الوثيقة ... وفي داخل المسجد قبر الخليل وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ... وقد نزلت إليه (الغار) وتأملته مراراً ... وبعد أن يعدد مقابر الأنبياء بمدينة الخليل عليه السلام نقلاً عن ابن مفرج كما أسلفناه يتحدث عن بحيرة لوط وهو ماء مستبحر أجاج كماء البحر وهي منقطعة لا تتصل بالبحر ولا هي منه قريبة ... وبمقربة من هذه التربة مسجد اليقين الذي بناه أبو بكو محمد بن إسماعيل الصبّاحي في شعبان عام 352هـ/ غشت - شتنبر 923م... وبالقرب من المسجد مغارة فيها قبر يزار وهو قبر فاطمة بنت الحسين بن علي رضي الله عنهم ... وقد نقش على رخامة هناك" ... هذا قبر أم سلمة فاطمة ابنة الحسين ... على نحو ما سيقوله ابن بطّوطة[3]" ومن الخليل توجه إلى بيت المقدس حيث زار في طريقه قبر يونس عليه السلام ... ثم وصلنا إلى بيت المقدس زاده الله تعظيماً وألحقه مبرة دائمة وتكريماً، مسجد الأنبياء وقبلتنا قديماً ومطلع الأولياء يُطلعهم عظيماً عظيماً ...

---

(1) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 7 ص 208 ط. 1986م.

(2) رحلة العبدري تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، (1388هـ/1968 م).

(3) أورد ابن بطوطة النص الكامل لهذا النقش وفي الأنس الجليل (72,I) الحَسَن عوض الحُسَين وهو خطأ. وبتأكد أن الفضل في اكتشاف هذا النقش يرجع للعبدري وابن بطوطة قبل غيرهما، رحلة ابن بطوطة، تحقيق د. التازي، ج I ص 132-243-244.

Histoire de Jérusalem et d'Hébron, Trad. par Henry Sauvaire - le duc de Luynes, cf. son voyage d'exploration à la Mer Morte, Ed. Fuad Sergin, Frankfort, 1993.

والبلد مدينة كبيرة منيعة، وسورها مهدوم هدمه الملك الظاهر خوفا من استيلاء الروم عليها وامتناعهم بها ... وبها رباطان متقاربان في غاية الإتقان بنى أحدهما الملك المنصور وبنى الآخر الأمير علاء الدين الأعمى، وفي كليهما رزق جار للمنقطعين وأبناء السبيل ... وقد وصف العبدري المسجد الأقصى بأنه من المساجد الرائقة العجيبة المنشرحة الفسيحة ...

وبعد أن ينقل عن أبي عبيد البكري الذي اعتمد في إفاداته على غيره حيث إنه لم يزر القدس على نحو ما كان من ابن عبد ربّه أيضاً، بعد ذلك يقول إن المسجد كله فضاء غير مسقف إلا الناحية الغربية ...

وفي وسط فضاء المسجد قبة الصخرة وهي من أعجب المباني الموضوعة في الأرض وأتقنها وأغربها، قد نالت من كل حسن بديع أوفر حصة وتلت من الإتقان ظاهره ونصه ... وصفتها أنها قبة **مثمنة** على نشز في وسط المسجد ... وأما الذهب فما رأيته مبتذلا في شيء كابتذاله في هذه القبة ! وفي وسط القبة الصخرة التي جاء ذكرها في الآثار.

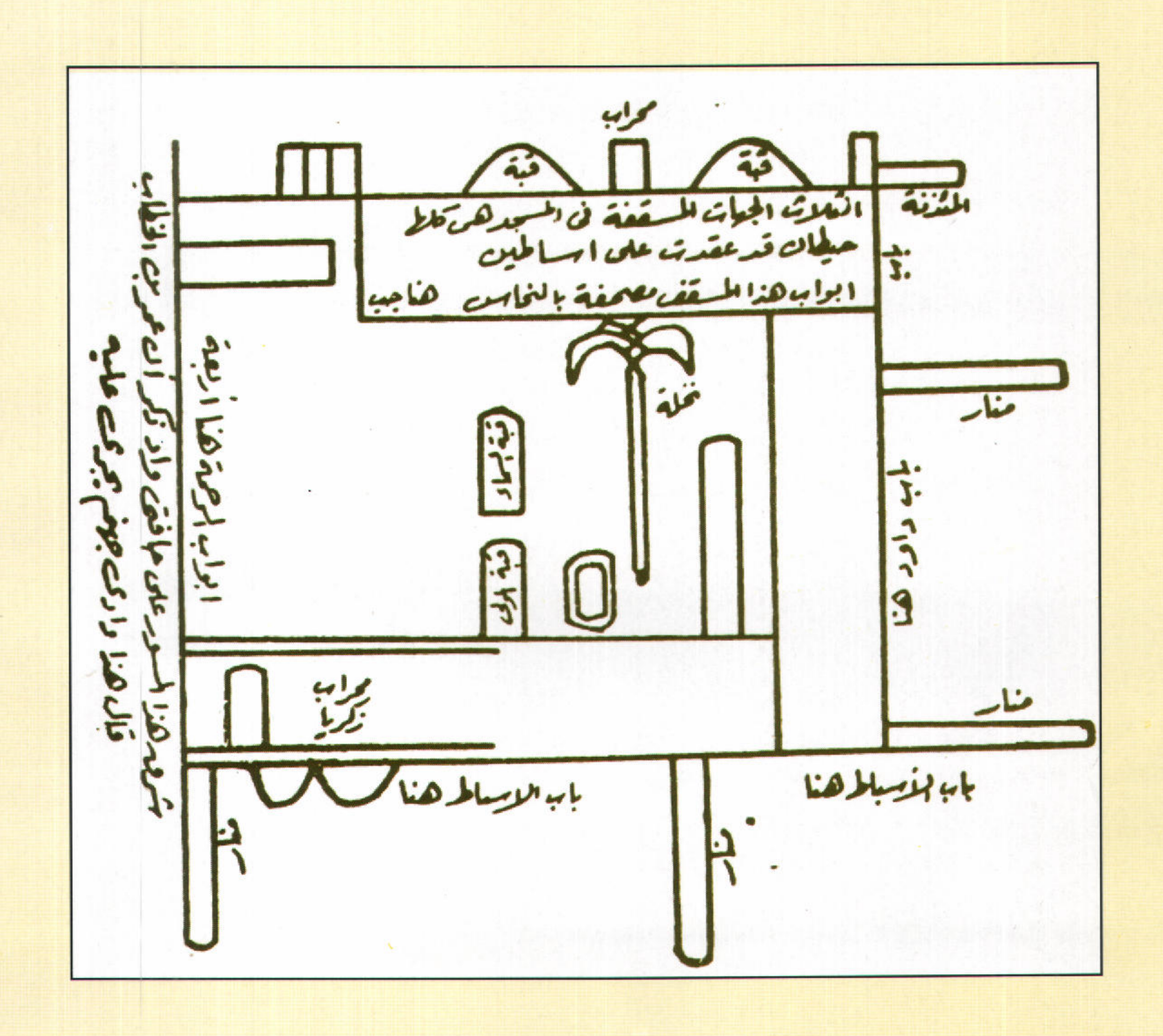
وقد تحدث العبدري عن مجالس العلم التي كان يعقدها قاضي البلد الملقب ببدر الدين ابن جماعة.

لقد أقام ببيت المقدس خمسة أيام على نحو ما كان فيه بمدينة الخليل ... تلك شهادة العبدري أوردناها مختصرة.

وبعد هذا يأتي رحالة العرب والعجم الذي تعتبر رحلته اليوم هي الأولى في تاريخ البشرية جمعاء، وهو **ابن بطوطة** الذي عاش على **عهد دولة بني مرين** ووصل بيت المقدس (725هـ/1325م) في عصر سلاطين المماليك، حيث زار المسجد الأقصى أكثر من مرة ووصفه بأنه ليس على وجه الأرض مسجد أكبر منه، وأن طوله من شرق إلى غرب سبعمائة واثنتان وخمسون ذراعاً بالذراع المالكية، وعرضه من القبلة إلى الجوف أربعمائة ذراع وخمس وثلاثون ذراعاً[1] وله أبواب كثيرة من جهاته الثلاث ... مسقف، في النهاية من إحكام العمل وإتقان الصنعة مموه بالذهب والأصبغة الرائقة ...

وعن قبة الصخرة يقول : وهي من أعجب المباني وأتقنها وأغربها شكلاً، وقد توفر حظها من المحاسن وأخذت من كل بديعة بظرف، وهي قائمة على نشز في وسط المسجد فيصعد إليها في درج رخام ولها أربعة أبواب، والدائر بها مفروش بالرخام أيضاً محكم الصنعة وكذلك داخلها، وفي ظاهرها وباطنها من أنواع الزواقة ورايق الصنعة ما يعجز الواصف، وأكثر ذلك مغشى بالذهب فهي تتلألأ نوراً وتلمع لمعان البرق، يحار بصر متأملها في محاسنها ويقصر لسان رائيها عن تمثيلها.

(1) رحلة ابن بطوطة، تقديم وتحقيق د. عبد الهادي التازي، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة التراث، ط. 1997 ج I - ص 12 - تعليق 18.



عن (مصادر البكري ومنهجه الجغرافي)
للدكتور عبد الله يوسف غنيم

وفي وسط القبة، الصخرة الكريمة التي جاء ذكرها في الآثار، فإن النبي ﷺ عرج منها إلى السماء، وهي صخرة صماء، ارتفاعها نحو قامة، وتحتها مغارة في مقدار بيت صغير، ارتفاعها نحو قامة أيضاً، ينزل إليها على درج، وهناك شكل محراب، وعلى الصخرة شباكان اثنان محكماً العمل يغلقان عليهما : أحدهما وهو الذي يلي الصخرة من حديد بديع الصنعة، والثاني من خشب، وفي القبة درقة كبيرة من حديد معلقة هناك ...

ويخصص ابن بطوطة فصولاً للحديث عن بعض المشاهد المباركة بالقدس الشريف وعن بعض فضلاء القدس على عهده قبل أن يتجول في أنحاء فلسطين الأخرى.

وإذا كان ابن بطوطة قد أغفل الحديث في هذه الزيارة الأولى للقدس عام (725هـ/1325م) عن مؤسسة مغربية تعرف باسم **وكيل المغاربة** أو شيخهم، كما يسميه ابن بطوطة، فإنه تنبه لذلك عند العودة عام (749هـ/1348م) حيث كان الشيخ يحمل اسم طلحة العبد الوادي[1]. ولم ينس ابن بطوطة بيت المقدس وهو في القسطنطينية (استنبول) يجتمع بالملك المترهب الذي أصر على مصافحة ابن بطوطة لأنه - أي ابن بطوطة - دخل بيت المقدس وجعل المترهب يده على رجل ابن بطوطة ومسح بها وجهه[2].

وقبل هذا كان ابن بطوطة تحدث عن مدينة الخليل التي قال عنها بالحرف : إنها مدينة صغيرة الساحة كبيرة المقدار، مشرقة الأنوار، حسنة المنظر عجيبة المخبر ... ومسجدها أنيق الصنعة محكم العمل بديع الحسن سامي الارتفاع مبني بالصخر المنحوت، في أحد أركانه صخرة أحد أقطارها سبعة وثلاثون شبراً ... وفي داخل المسجد الغار المكرم المقدس فيه قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب ... ويقابلها قبور ثلاثة هي قبور أزواجهم وعن يمين المنبر بلصق جدار القبة موضع يهبط منه على درج رخام محكمة العمل إلى مسلك ضيق يفضي إلى ساحة مفروشة بالرخام فيها صور القبور الثلاثة ... وكان هنالك مسلك إلى الغار المبارك وهو الآن مسدود، وقد نزلت بهذا الموضع مرات - يقول ابن بطوطة - الذي يستأثر وحده بذكر نص نادر مؤيد لما قاله ونقله : هو تأليف لعلي بن جعفر الرازي اسمه المسفر للقلوب عن صحة قبر إبراهيم وإسحاق ويعقوب إلى آخر النصوص التي تؤكد بدورها اهتمام المسلمين بمدينة الخليل إلى جانب اهتمامهم بمدينة القدس الشريف[3]. وهنا نذكّر مرة أخرى

---

(1) رحلة ابن بطوطة، تحقيق د. التازي، ج 4 ص 322 تعليق رقم 52، مصدر سابق.

(2) ابن بطوطة، المرجع السابق، ج 2، ص 441-442.

(3) ونحن مع ابن بطوطة لا تفوتنا الفرصة دون أن نذكر أن هناك مشروعا عرضته المملكة المغربية - وهي ترأس لجنة القدس في شخص جلالة الملك الحسن الثاني - على منظمة اليونسكو، يقصد بالأساس إلى تحسيس أهل الديانات السماوية بأنه ليس هناك ما يبرر الخلاف بينهم. هذا المشروع عرف عند **اللجنة الدولية الحكومية للعقد** العالمي للتنمية الثقافية (1987 - 1988م) (La décennie mondiale du développement culturel) تحت عنوان : "طريق الإيمان". «إن على اليونسكو أن لا تهتم فقط بطريق الحرير، ولكن عليها كذلك أن تهتم بالطريق التي سلكها المؤمنون للوصول إلى الإيمان بالله ...» وقد طلبت اليونسكو من أحد المهتمين بتاريخ الديانات، وهو البروفيسور جوهن باوكر J. Bowker من جامعة كيمبريدج، أن يقوم بدراسة جدوى للمشروع، الأمر الذي قام به الأستاذ المذكور وعهد إلينا بمناقشة محاوره التي لم يكن بعضها محل رضى. وبخاصة الفقرة التي تتحدث عن **قلة اهتمام المسلمين بالقدس** في بداية ظهور الإسلام ! الأمر الذي ترفضه سائر المصادر ويكفي أن نعرف أن المسلمين، وخاصة بعد احتلال القدس عام (492هـ/1099م)، قاموا بسنّ عدد من العادات التي - ولو أنها ترق بعض العلماء - كانت تعبّر عن أن تعلق المسلمين بالقدس لا يقلّ عن تعلّقهم بمكة... "مساجلة علمية بين العز بن عبد السلام وابن الصلاح"، تحقيق محمد ناصر الدّين الألباني ومحمد زهير الشاويش، طبعة دمشق 1380، راجع التعاليق السابقة.

بالفقرات التي خصصها ابن بطوطة لقبر السيدة فاطمة بنت الحُسين الذي كان يوجد على مقربة من مسجد اليقين. وبأعلى القبر وأسفله لوحتات من الرخام في إحداهما مكتوب منقوش بخط بديع : بسن اللّه الرحمن الرحيم للّه العزة والبقاء، وله ما درأ وبرأ، وعلى خلقه كتب الفناء. وفي رسول اللّه أسوة، هذا قبر أم سلمة فاطمة بنت الحُسين رضي اللّه عنه، وفي اللوح الآخر منقوش : صنعه محمد بن أبي سهل النقاش بمصر وتحت ذلك هذه الأبيات :

أسكنتَ من كان في الأحشاء مَسْكَنُه بالرغم مِنّي بين التُّرب والحجر !

يا قبــر فاطمـــةٍ بنتِ ابنِ فاطمـــة بنت الأيمـــة بنت الأنجـم الزهـر

يا قبـرُ، ما فيك من دينٍ ومن ورَع ومن عفافٍ ومن صونٍ ومن خَفَرِ[1]

وقد حط ركب **البلوي** في مدينة الخليل ضحوة الخميس التاسع لشعبان عام (737هـ/ 1337م) ووجد فيها قصراً عظيم البركة ظاهر الرحمة لائح الأنوار كريم المآثر والآثار ... لقد أدّى البلوي وصفاً جميلاً للمسجد الأعظم الذي رأى من حسنه عجباً ومن بنيانه ما شئت فضةً وذهباً ... وفي وسط المسجد الكريم تربة الخليل أبينا إبراهيم عليه السلام ... وأمامه ضريح زوجته رضوان اللّه عليها وتجاه ذلك من الجانب الجوفي قبة أخرى عظيمة القدر متناهية الإتقان تحتها ضريح النبي يعقوب عليه السلام وأمامه زوجه رضي اللّه عنها ... واللّه سبحانه وتعالى أعلم بصحة ذلك كله ...

وبعد أن يعدد البلوي أسماء بعض من أخذ عنهم في ذلك المقام من بعض الأئمة الأعلام يغادر الخليل إلى بيت المقدس ضحوة يوم الأحد الثاني من شعبان المذكور. وهنا يفسح المجال لقلمه السيال فيصف المدينة بأنها بلدة الأفق المنير ونجمه ... سامية الارتفاع مشرفة البقاع مباركة الأغوار والتلاع، تشهد لسكانها بالثراء والسناء ... ظلٌّ ظليل وماء سلسبيل ...

ولقد قصد الحرم الشريف والمسجد العظيم المنيف الذي بارك اللّه حوله وعرفت كُل أمة فضله : المسجد الأقصى موضِع المعراج والإسراء ... وهذا المسجد من أعظم مساجد الدنيا...

وفي معرض حديثه عن المحراب ذكر أنه نقش في أعلاه بالذهب في أربعة أسطر ما نصه :

«أمر بتجديد هذا المحراب المقدس، وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس عبد اللّه ووليه يوسف بن أيوب المظفر الملك الناصر صلاح الدين والدنيا عندما فتحه

= (تراجع الوثيقة حول دراسة جدوى بشأن مشروع طريق الإيمان، أعدها الأستاذ جوهن باوكر تحت رقم CLT-92/7 (Annex P. 5 - Conf. 201).

ويراجع د. التازي في تدخله : طريق الإيمان : المشروع المغربي لدى اليونيسكو، بحوث الندوة العالمية حول القدس - منظمة إيسيسكو (1415هـ/1995م) - جريدة "الميثاق"، المغرب 1995/11/23م. مجلة "شؤون مغربية" - مارس 1997م.

(1) يلاحظ أن العبدري يعترف بأنه وجد بيتاً آخر : مثلوماً ذهب عجزه... وأنه كمل هو بقية البيت. كما يلاحظ أيضاً أن هذا النقش يفيد أن قبر فاطمة بمدينة الخليل وليس بمصر على ما يوجد في نور الأبصار عن القطب الشعراني وقال الشيخ الأجهوري الكبير، إنها مدفونة خلف الدرب الأحمر في مسجد خليل - رحلة ابن بطوطة ج 1 ص 119.

اللّه على يديه في شهور سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (1187م) وهو يسأل اللّه إيزاعه شكر هذه النعمة وإجزال حظه في المغفرة والرحمة».

لقد اهتم البلوي كما نرى بمثل هذه المنقوشات التاريخية ونعم ما فعل ! لأن بعض من سبقه أهملها افتياتاً وكسلاً ...

وهكذا أيضاً ففي حديثه عن الصخرة ذكر أنه كتب في وسطها بالذهب في أرض سماوية لا زوردية على الدائرة ما نصه :

«بسم اللّه الرحمن الرحيم، أمر بتجديد تذهيب هذه القبة الشريفة مولانا السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المؤيد من السماء ناصر الدنيا والدين، محيي العدل في العالمين، وظل اللّه في أرضه، القائم بسننه وفرضه، محرر ممالك الدنيا ومظهر كلمة اللّه العليا، مشيد أركان الشريعة الشريفة وسلطان الإسلام، الشهيد الملك المنصور قلاون تغمده اللّه برحمته وذلك سنة ثمان عشرة[1] وسبعمائة (1318م)».

وللقبة المثمنة أربعة أبواب : فالباب الجوفي منها يسمى باب الجنة وبأعلاه مكتوب بالخط الحسن : هذا باب الجنة، وبالباب الثاني منه لوح نحاس كبير مكتوب فيه بالنقش المحكم ما نصه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمد للّه الذي لا إله إلا هو، الحي القيوم لا شريك له، الأحد الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفؤا أحد، عبد اللّه ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، آمنا باللّه وبما أنزل على محمد، وبما أوتى النبيئون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون، صلى اللّه وسلم على محمد عبده ونبيه، والسلام عليه ورحمة اللّه وبركاته ومغفرته ورضوانه، مما أمر به الإمام المأمون أمير المؤمنين أطال اللّه بقاءه، في ولاية أخيه أمير المؤمنين أبي إسحاق ابن أمير المؤمنين الرشيد أبقاه اللّه، وجرى على يد صالح بن يحيى مولى أمير المؤمنين في شهر ربيع الآخر سنة **ست عشرة ومائتين** (مايو – يونيو 831 م).

وفي أعلى الباب من الباب الشرقي لوح آخر من نحاس أيضا مكتوب فيه هذا النص المذكور بجملته.

وأمام باب الجنة المذكور قبة يعشى النواظر شعاعها ... تسمى قبة السلسلة ... بوسطها تاريخان مكتوبان بالذهب، أحدهما في أرض خضراء زرعية، ونصه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم، "وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان، وكلا آتينا حكماً وعلماً"، كمل تجديد بطن هذه القبة السلسلة المباركة، ونقش سقفها وتبليطها في شهور سنة ست وتسعين وخمسمائة (1200م).

---

(1) في رحلة ابن عثمان (إحراز المعلى والرقيب) سنة ثمان وعشرين وسبعمائة، ويتأكد أن الصواب ما يوجد في مخطوطات البلوي رقم D 3627 صفحة 103 ورقم D 1288 ورقة 44، بالخزانة العامة.

وفي الركن الغربي من هذا الصحن ... مسجد فيه قبتان منتظمتان عجيبتان فيهما رسوم مذهبة وتواريخ مختلفة أقربها عهداً هو ما نصه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمد للّه وصلواته على خير خلق اللّه محمد وآله وصحبه، أما بعد فما زالت همم ملوك الإسلام تتناصر على إثبات مفاخر يبقى ذكرهم ببقائها فيحيون رسومها طالما نسجت عليها العناكب، ويرقمون على صفحات الأيام من الخيرات رقما تشرف إليه الكواكب، فتظل عيون الأماني بمآثرهم قريرة، وأعواد منابرهم بمفاخرهم مورقة نضيرة، أعطاهم اللّه قدرة فصرفوها إلى رفع أقدارهم، وآتاهم الدنيا فلم يتركوها غفلا من محاسن آثارهم :

فتراهم دون الرجام وذكرهم ⠀⠀⠀ باق بها فكأنهم أحياء

فللّه در فتى تبقى مساعيه بعده مشكورة، ومناقبه ما بقيت آثارهم مذكورة. ولما تشعث السقف الذي كان أنشأه الملك المعظم الواقف المذكور رحمه اللّه، انتدب لإحيائه عبد اللّه الفقير إليه أسد الدين عبد القادر سبط الواقف بحكم ما إليه من النظر الشرعي في أوقاف جده، فجدده وبذل وسعه وطاقته فيه ابتغاء مرضاة اللّه تعالى، وكان الفراغ منه في ربيع الأخير سنة تسع وعشر وسبعمائة من الهجرة النبوية، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

ومن الجهة الغربية من الصحن الكبير المثمن مدرسة عجيبة غريبة الشكل، يسكنها الصوفية وقد حف بها من الرسوم المذهبة العجيبة والخطب الأدبية الغريبة ... اخترت أخصرها ونقلت أيسرها، فكان الذي ارتضاه الاختيار، ما قيدته من مباح الطبقة العليا ونصه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم، الحمد للّه الذي رفع لبيت المقدس في سائر الملك ذكراً وقدراً وفضله على أكثر البقاع شرفا وفخرا وجمع القلوب على محبته، تعظما لرتبته وقدرا، وأسرى بخير خلقه إليه ثم أنزل عليه - صلوات اللّه عليه - سبحان الذي أسرى، فيا بشرى لمن بنَى للّه فيه بيتاً ولو كان شبراً، ويا سعد من أسدى للناس فيه ثواباً وبراً لقوله تعالى : ﴿ **وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند اللّه هو خيراً وأعظم أجراً** ﴾، فأي خير أعظم من إنشاء هذا المكان وبناء هذا الإيوان ... أرجو لبانيه أن يعطى أمانيه[1] ...

ويأتي بعد ابن بطوطة مواطنه ومعاصره المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون الذي رحل من المغرب إلى مصر عام (784هـ/1384م) وتوطدت الصلة بينه وبين رجال الحكم بمصر ... وقد صحب السلطان الناصر فرج بن برقوق إلى الشام ... وعند عودة السلطان إلى مصر استأذنه ابن خلدون في زيارة القدس، وهنا يقول المؤرخ المغربي : فأذن لي في ذلك ووصلت إلى القدس ودخلت المسجد وتبركت بزيارته والصلاة فيه ... وانصرفت إلى مدفن الخليل عليه السلام ... ومررت في طريقي إليه ببيت لحم وهو بناء عظيم على موضع ميلاد المسيح ...

---

(1) المرجع السابق.

ونختم هذه الفترة **بأبي عبد الله محمد بن الأزرق الغرناطي المالقي**، هذا الذي رحل إلى الديار المشرقية سفيراً عن مملكة غرناطة لطلب النجدة ... ولم يلبث بعد أن أدى فريضة الحج أن تولى ولاية القضاء بالقدس عام (895 هـ/1490م) حيث أدركه أجله هناك عام (896هـ/1491م) أي قبل سقوط بلده غرناطة بعام واحد.

* * *

ولم تنقطع الرحلات المغربية بالرغم من الظروف القلقة التي عاشها المغرب أواخر دولة بني مرين **وبداية عهد السعديين**. وهكذا قرأنا عن أخبار القدس والخليل من خلال مذكرات العلامة أبي عبد الله المقري الذي كانت له اتصالات بأعلام بيت المقدس من أمثال أبي عبد الله محمد[1] بن مثبت والقاضي شمس الدين ابن سالم والفقيه عبد الله بن عثمان وغير هؤلاء.

هذا إلى **المقّري الحفيد أبي العباس** مؤلف (نفح الطيب)، وهو يتحدث في هذه الموسوعة الأدبية والتاريخية الرفيعة عن قصده لزيارة بيت المقدس في شهر ربيع من عام تسعة وعشرين وألف (1620م). وقد شملته بفضل الله جوائز الإنعام وتذكر عند مشاهدة تلك المسالك الصعبة قول ابن حجر الذي زاده في تلك الزيارة رغبة :

إلى البيت المقدس جئت أرجو   جنان الخلد نزلا من كريم

فلما دخلت المسجد الأقصى، وأبصرت بدائعه التي لا تستقصى - يقول المقري - ، بهرني جماله الذي تجلى الله به عليه، وسألت عن محل المعراج الشريف فأرشدت إليه، وشاهدت محلا أم فيه صلى الله عليه وسلم الرسل الكرام الهداة، وكان حقي أن أنشد هنالك ما قاله بعض الموفقين وهو مما ينبغي أن تزمزم به الحداه :

إن كنت تسأل أين قد   ر محمد بين الأنام

فأصخ إلى آياته   تظفر بريك في الأوام

إلى آخر القصيدة التي اتبعها بأشعار أخرى كلها تصب في مدح صاحب الإسراء والمعراج عليه الصلوات.

وبعد أن يودع المقري القدس لبعض الوقت تتحرك همته سنة سبع وثلاثين وألف للهجرة (مارس 1628م) للعود للبيت المقدس، وتجديد العهد بالمحل الذي هو على التقوى مؤسس، فوصلت يقول المقري أواسط رجب : وأقمت فيه نحوا من خمسة وعشرين يوما بدا لي فيها بفضل الله وجه الرشد وما احتجب، **وألقيت عدة دروس بالأقصى والصخرة المنيفة، وزرت مقام الخليل** ومن معه من الأنبياء ذوي المقامات الشريفة وكنت حقيقا أن أنشد قول ابن مطروح، في ذلك المقام الذي فضله معروف وأمره مشروح :

خليل الله قد جئناك نرجو   شفاعتك التي ليست ترد

إلى آخر القصيدة التي سترد علينا في رحلة ابن عثمان.

---

(1) النفح، 5، 254.

وقد كانت رحلة أبي سالم **عبد الله بن محمد العياشي** واسمها (ماء الموائد) من أوفى الرحلات التي خصصت حيزا هاما للقدس والخليل.

لقد قصدهما عن طريق غزة بخلاف ابن عثمان آتي الذكر الذي قصد القدس من مدينة عكة ... ومن الرملة تحرك العياشي نحو مدينة القدس التي وصلها منتصف صفر أربع وسبعين وألف (شتنبر 1663م) حيث أدى صلاة العصر بقبة الصخرة بعد أن أودع أغراضه **بزاوية المغاربة** قبل أن يودعها برواق جوار صحن الصخرة المقدسة.

وعلى ما جرت به عادة الحجاج المغاربة فإنهم لا يملون من أداء وصف مدقق لما يشاهدونه في القدس والخليل.

وهكذا وجدنا أن **العياشي** يقول بدوره مؤكدا ما نعرفه سلفا عند مجير الدين في كتابه "الأنس الجليل" :

... وهذا المسجد المقدس آية من آيات الله في فخامة البناء وسعة المقدار، فيه أشجار كثيرة من التين والزيتون عظيمة، تحت كل شجرة مصطبة مبنية بالحجر المنحوت على قدر ما تظله أغصان الشجرة، فيه شكل محراب يجلس الناس تحتها للصلاة والقراءة ويأوي إليها الفقراء المتجردون ...

وأما الأروقة التي في داخله والبيوت التي في خارجه فشيء كثير، وفي وسط المسجد قبة الصخرة، ماثلة في الهواء **مثمنة الشكل** لها أربعة أبواب. دور القبة كلها نحو من خمسمائة قدم ... وهي في غاية الارتفاع وإتقان البناء، وأبوابها في غاية العظمة والإتقان ... والصخرة لونها يميل إلى الزرقة في غاية الصلابة ... وغلظها نحو من ذراعين ...

وقد ذكر بعض المؤرخين أنها كانت في زمن بني إسرائيل طويلة جدا وأنهم قطعوها وبنوا منها الكنيسة المسماة بقمامة ...

ويعلق العياشي على ما ذكر من أن الصخرة **واقفة في الهواء** لا يمسكها إلا الله بأن هذا كان في الزمن الماضي وأما في عصرنا فقد بني بإزائها ومن تحتها ... وكنت أصلي تحتها ما تيسر ... ويحيط بمسجد الصخرة صحن كبير مفروش بالحجر المنحوت.

وبالجملة فغرائب الصخرة والمسجد الأقصى وما حولهما من المزارات شيء كثير، وقد ألفت فيه التآليف، يقول العياشي.

وقد ذكر بعضهم أن من خاصية هذا البلد الشريف أنه ما رئيت السماء صافية فيه يوماً كاملاً صيفاً وشتاءً ولا بد أن يرى في السماء غيم ... يتابع العياشي.

ومن المزارات خارج الأرض المقدسة طورزيتا ... وفي أعلاه مزارة فيها يقال : إن منها رفع المسيح عليه السلام ... وكان هذا المحل في أيدي النصارى، وسعى شيخ مشايخنا الشيخ محمد العلمي جد شيخنا أبي حفص عمر في استخلاصه من أيديهم ... وتعصب عليه النصارى بأهل الدنيا وبذلوا في ذلك الأموال فأعانه الله عليهم.

ومن المزارات قبر مريم عليها السلام في كنيسة في أصل الوادي وهي بأيدي النصارى فتحرجنا من الدخول إليه وزرناه من خارج ...

وغالب مزارات تلك البلاد **هي بأيدي النصارى**، فمما بأيديهم بيت لحم الذي فيه مولد المسيح وهو على نحو فرسخ من المدينة ... ومنها قبر يونس بن متى عليه السلام في قرية قرب مدينة الخليل.

وأما قبر موسى عليه السلام فإن بينه وبين القدس نحواً من نصف مرحلة إلى ناحية الشرق. وأخبروني أن المسافة بيننا وبينه مخوفة غاية ولا يوصل إليه إلا في قوة ومنعة، وكنت كثير الاشتياق لمشاهدة ما يقال هناك من العجائب وإن لم يرد أثر صحيح في أن ذلك قبره، ولم يشتهر ذلك المكان في العهد القديم سوى في صدر الإسلام، وإنما بناه وأظهره المتأخرون من الملوك، وأظن - يقول العياشي - أن ذلك كان في المائة السادسة[1] أو السابعة بإشارة أهل الكشف[2].

ومما ذكروا من العجائب هنا أن حول القبر حجراً في حائط لا يزال، ترى فيه صور : منها ما يكون كالفارس أو الراجل عليه سلاح أو غير ذلك، يشاهده كل من كان في ذلك المكان.

وقد أخبروني بكرامة وقعت في بعض الأزمنة القريبة، وذلك أن المحل الذي هو فيه ليس به عمران، إنما تأتيه الوفود في وقت معلوم للزيارة، وعليه بناء متقن عظيم، وعلى المزار أبواب عظيمة مغلقة لا يتمكن أحد من فتحها بحيلة حتى يقدم القيم من القدس فيفتحها، ثم إن الستر الذي على قبره - وكانت له قيمة عظيمة - وجد مبيعا في بعض أسواق الشام، وعرفه الناس فسألوا عن بائعه ؟ فإذا هو أعرابي فقير، فأخذ وأتى به إلى والي البلاد فبعث إلى المشهد، فوجدوا الستر قد أخذ منه والأبواب على حالها مغلقة فأمر بعقوبة الأعرابي، فأقر أنه هو الذي سرقه، فسألوه : كيف تمكنت من أخذه مع غلق الأبواب، فقال : إني أصدقكم في ذلك، فإنه لما جاء وقت موسم من مواسم السنة وأنا فقير ذو عيال، ولا مال لي جئت إلى المشهد فناديت : يا نبي الله ! يا كليم الله ! إني فقير مضطر، وقد أقبل الموسم ولا شيء عندي فأعطني ما أنفق على بناتي أو قريبا من هذا الكلام، قال : فمددت يدي إلى أول مغلق فانفتح، وكلما وقعت يدي على مغلق انفتح حتى وصلت إلى القبر، وأخذت الستر فلما خرجت غلقت الأبواب كما كانت وظهر لهم أثر صدقه في ذلك فأطلقوه ولم يعاقبوه.

ولما كان وجدان العياشي تعلق بزيارة قبر موسى وقبر الخليل معا بالرغم من «فساد الطريق» وعدم تأتي الزيارة إلا مع قوة، وبالرغم كذلك من ضيق الوقت حيث إنه يخاف فوات الركب المغربي المنتظر بمصر ... فقد أشار إليه بعض الإخوان أن يستنجد بقاضي البلد الشيخ محمد التفاتي التونسي المغربي الذي كانت الدولة العثمانية قد عينته قاضيا بالقدس.

---

(1) يبدو أن الإشارة إلى ما قام به السلطان بيبرس عام (670هـ/1270م) من بناء مسجد في المكان الذي كان يحمل اسم "الكثيب الأحمر" لم يلبث أن أصبح مزارة للعامة على أنه قبر النبي موسى. رحلة ابن بطوطة ج I ص 227، تعليق 265.

(2) الرحلة للعياشي II/318.

لكن القاضي أكد للعياشي أن الطريق مخوفة علاوة على ما فيها من المشقة سيما والقبر غير موثوق به[1] ...

وبعد أن يحكي العياشي عن شخصية تعرف عليها بالقدس، شهاب الدين الحنفي المصري الذي يبدو أنه لم يكن على ما كان ينتظره العياشي من تحصيل للعلم وخاصة عندما التقيا في منزل الشيخ أبي حفص عمر بن عبد الصمد بن الشيخ القطب محمد العلمي[2]...

ولم يلبث العياشي أن خرج من القدس في اتجاه الخليل صحبة رفقة مأمونة هيأها له القاضي التفاتي ... الذي كتب إلى نائبه بمدينة الخليل توصية بالرحالة المغربي.

ومر في طريقه بالجوابّ التي يأتي منها الماء إلى المسجد الأقصى، وهي جواب عظيمة في غاية السعة لم أر - يقول العياشي - أوسع منها وهي ثلاثة متوالية يجتمع فيها الماء من عين هناك حتى إذا امتلآت ذهب الماء في قنوات محكمات تحت الأرض إلى أن يدخل المسجد ... ولم نزل نسير إلى أن دخلنا مدينة **الخليل** وأنزلنا الشيخ عثمان نائب القاضي في جوار المسجد.

وزرنا قبر خليل اللّه سيدنا إبراهيم عليه السلام وقبور بنيه الكرام سيدنا إسحاق ويعقوب ويوسف عليهم السلام وقبور أزواجهم.

والقبور كلها في مغارة تحت أرض المسجد، وفي المغارة طاقة مفتوحة في وسط المسجد مثل البئر قد علقت فيها مصابيح توقد ليلاً ونهاراً، وفي أرض المسجد شبابيك على شكل القبور مغطاة بستور من ديباج في مقابلة قبور الأنبياء التي في المغارة إلا قبر يوسف عليه السلام فإنه في آخر المسجد ... واقتحمنا دخول المسجد اقتداء بمن جوز ذلك من العلماء ...».

وبعد أن يأتي العياشي بنبذة عن جماعة ممن تعرف عليهم من مدينة الخليل يسوق قصيدة رائية طويلة نظمها تعبيرا عن التعلق بهذا المقام يقول في أولها :

ألا يا خليل اللّه جئتك زائرا   أجوب الجبال السود نحوك سائرا

بعد ذلك يرتحل من مدينة الخليل في اتجاه غزة حيث نزل بمحله الأول من رباط الشيخ عبد القادر الغصيني الذي كان سراج هذه المدينة وإنسان عينها ونور بصرها ...

تلكم كانت شهادة العياشي عن القدس والخليل أوردها في رحلته التي لا تكاد تخلو خزانة لعالم كبير منها ...

وسنكتفي بهذا القدر من الرحلات التي تمكن أصحابها من زيارة القدس والخليل لننتقل إلى الرحلة التي اتخذناها **نموذجاً لحديثنا** حول مركز القدس والخليل لدى المغاربة، تلك رحلة ابن عثمان المكناسي.

---

(1) هذا ما يوجد عند الهروي في كتابه "الإشارات إلى معرفة الزيارات" لكنه قال في الصفحة 18 إن بعض الناس يعتقدون أن قبر موسى يوجد في أريحا، مدينة الجبارين.

(2) ابتدأ سوء التفاهم هذا من استغراب العياشي تفسير شهاب الدين لكلمة (التروية) بأنها مشتقة من الرؤية وليس من تروى في الماء : ص 41-42.

وقد اخترنا هذه الرحلة بالذات لأنها تحتوي على عدد من الخاصيات.

فهي **أولاً** رحلة قام بها سفير معروف بتحريه الحقيقة والمصداقية، قام بها في رعاية الدولة العثمانية التي كانت تحكم المنطقة وتعرف دروبها وزواياها.

وهي **ثانياً** تصادف تاريخاً هاماً (1202هـ/1788م) يعتبر مؤشراً لما كان ينتظر المنطقة من تحولات أدت في النهاية إلى أن استعر التنافس بين الجهات ذات المصلحة في الأماكن المقدسة.

وثالثاً فقد اشتملت الرحلة على بعض المعلومات التي خلت منها الرحلات السابقة وخاصة منها المعلومات عن بعض المخطوطات النادرة والتآليف الهامة علاوة على المعلومات عن بعض القادة العثمانيين الذين لم يعودوا منضبطين إزاء رؤسائهم !!.

ورابعاً فإن رحلة ابن عثمان تفسح المجال لمعرفة الحركة السكانية **والخريطة الدينية** للمنطقة أي إنها تعطي فكرة عن نسبة الوجود الإسلامي والمسيحي واليهودي في تلك البقاع ...

وأخيراً فإن الرحلة تكشف عن جانب **التدرج** الذي عاشته مدينة القدس والخليل أي إننا بعد أن قرأنا عن المدينتين في إفادة أبي بكر ابن العربي على عهد المرابطين، وإفادة الشريف الإدريسي على عهد الموحدين وشهادات ابن بطوطة على عهد بني مرين، وإشارات المقري على عهد السعديين، والعياشي في العهد الأول **لدولة العلويين** ... ها نحن نعيش مع شاهد عيان في الفترة الوسطى للعلويين وبالذات أيام الملك محمد الثالث الذي كان يعاصر السلطان عبد الحميد خان. ويتعلق الأمر - كما أشرنا - برحلة الأديب والفقيه والوزير والسفير محمد بن عثمان المكناسي وهي تحمل عنوان : "**إحراز المعلى والرقيب، في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب**"[1].

فماذا نعرف عن هذه الشخصية الدبلوماسية والعلمية اللامعة ؟

يعتبر ابن عثمان من الوجوه البارزة في الحياة الأدبية وفي التاريخ الدبلوماسي للمغرب وخاصة فيما يتصل بالعلاقات مع المملكة الإسبانية، والإمبراطورية العثمانية.

وقد ولد بمدينة مكناس أواسط القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) ... ونشأ في أحضان والده الذي كان من أبرز فقهاء المدينة.

ولم يلبث أن أصبح سفيرا للسلطان سيدي محمد بن عبد الله (الملك محمد الثالث) في أعقاب ما نسميه **تصريح مكناس** لعام (1191هـ/1797م) الذي يدعو فيه العاهل المغربي سائر الدول إلى القضاء على الرق بصفة نهائية. لقد اتبع هذا التصريح بحملة دبلوماسية مغربية مكثفة كانت تهدف إلى تبليغ هذا القرار للأمم الأخرى من جهة وإعطاء المثل والقدوة من جهة ثانية، وهكذا دشنت حركة دبلوماسية واسعة لهذا الغرض فذهب الطاهر فنيش

---

(1) توجد نسختان من الرحلة بالخزانة الحسنية بالقصر الملكي العامر، تحت رقم 5264 ورقم 12307، ونحن نغتنم هذه الفرصة لنتقدم بالشكر لأطر الخزانة على ما قدموه من مساعدة.

لفرنسا وعين محمد بن عثمان سنة (1193هـ/1779م) سفيرا لدى ملك إسبانيا كارلوس الثالث، وقد كانت سفارته تلك هي موضوع تأليفه (الإكسير في فكاك الأسير)[1].

وبعودته من إسبانيا عين وزيرا لدى الملك محمد الثالث ولم يلبث أن عين سفيراً مرة أخرى إلى مالطة ونابولي، وهي السفارة التي خصص لها كتابه (البدر السافر في افتكاك الأسارى من يد العدو الكافر)، وهي السفارة التي كانت (قادس) طريقه للوصول إلى مالطة ونابولي[2].

وبعد هاتين المهمتين راح ابن عثمان في سفارة من نوع آخر ... وبهذه المناسبة أتيح له أن يؤدي مناسك الحج ويؤلف كتابه : (إحراز المعلى والرقيب ...) ويتعلق الأمر برحلته إلى القسطنطينية العظمى في (رجب 201هـ/ماي 1787م) لإبلاغ السلطان عبد الحميد خان أسباب اعتبار الملك محمد الثالث للمبعوث التركي إسماعيل أفندي شخصاً (غير مرغوب) !!

وكان هذا المبعوث تصرف تصرفا غير مقبول عندما وصل إلى المغرب في مهمة تتعلق بأتراك الجزائر فأصدر الملك أمره بطرده وأصحبه بأبي القاسم الزياني الذي حكى عن إسماعيل هذا[3].

وقد استمر ابن عثمان يعمل في البلاط الملكي بعد وفاة الملك محمد الثالث عام (1204هـ/1790م) وتنصيب ولده مولاي اليزيد، حيث عمل سفيرا لهذا السلطان الذي أرسل به إلى العاهل الإسباني الملك كارلوس الرابع ... وبعد وفاة السلطان مولاي اليزيد عمل ابن عثمان في بلاط أخيه السلطان مولاي سليمان الذي بويع له في (رجب 1206هـ/مارس 1792م) ...

وفي هذه الفترة أصبح ابن عثمان وزيرا للخارجية بكل ما تحمله هذه الصفة من معنى وهنا برز ذكره أكثر ما يكون البروز على الصعيد الدولي، وقد أدركه أجله في أحداث الطاعون الذي ضرب البلاد حوالي (محرم 1214هـ/ يوليو 1800م).

---

(1) حققه وعلق عليه ذ. محمد الفاسي، وهو من منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي بالرباط، عام 1965م.
Caillé : Les accords internationaux du Sultan Sidi Mohamed Ben Abdellah P. 233-19 TANGER 1960.

(2) د. التازي : صقلية في مذكرات السفير ابن عثمان - مطبعة فضالة 1974 - قادس من خلال رحلة ابن عثمان/ منوعات. BRAULIO Justel جامعة قادس 1995م. التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج I ص 129 – 270 II 293، X 7، 278.

(3) الترجمانة الكبرى للزياني - تحقيق عبد الكريم الفيلالي - طبعة الرباط 1967م، ص 82–83–84، التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 9 ص 34–35–36.



السفير ابن عثمان في حديث مع كارلوس الثالث.
عن لوحة في قاعة اجتماعات الديوانة في برشلونة
أهداها إلينا مشكوراً عميد الجامعة السيد جوزيف بريكول 1992م

مع ابن عثمان في مذكراته حول القدس والخليل

يبدو من خلال مقدمة رحلته (إحراز المعلى والرقيب ...) أنه تلقى أمرا من ملكه بمهمة في أرض الحجاز على عهد الشريف سرور، تتلخص في توزيع الهدايا والهبات الملكية التي اعتاد المغرب تقديمها لبيوتات الحرمين الشريفين، وكانت هذه المهمة بعد مهمته الأولى في اسطامبول - لقد ذكرته هذه التنقلات من جهةٍ إلى أخرى بشعر عبد اللّه بن أحمد ابن الحارث شاعر بني عباد :

يوم بحزوى ويوم بالعقيق ويو   م بالعُذيب ويوم بالخليصـــاء

وإذا كان ابن عثمان في الرحلتين السابقتين بدا وكأنه رجل لا يهتم كثيرا بالأدب والفقه فإنه في هذه الرحلة الثالثة لم يترك الفرصة دون ما أن يستدل بأبيات وأمثال بل وأن يقوم بنظم أشعار كذلك، ولم يترك الفرصة تمر دون أن يكشف عن تخصصه كفقيه ينظم الأراجيز ليحفظها المهتمون بمناسك الحج على نحو ما فعله عبد الواحد بن عاشر الفاسي دفين فاس عام (1040هـ/1631م) عندما قال :

وإن ترد ترتيب حجك اسمعا   بيانَه والذهنَ منك استجمعا

فقد وجدنا ابن عثمان المكناسي ينظم أرجوزة طويلة كذلك ويقول من جملة ما قال :

وإن تـرد حجــك بالتمتـــع   فـافعــل كما أصفــه لك وع

ويهمنا بعد هذا أن نتتبع خطوات ابن عثمان في فلسطين وهو يجعل من مدينة عكا مقامه قبل أن يرحل إلى القدس والخليل.

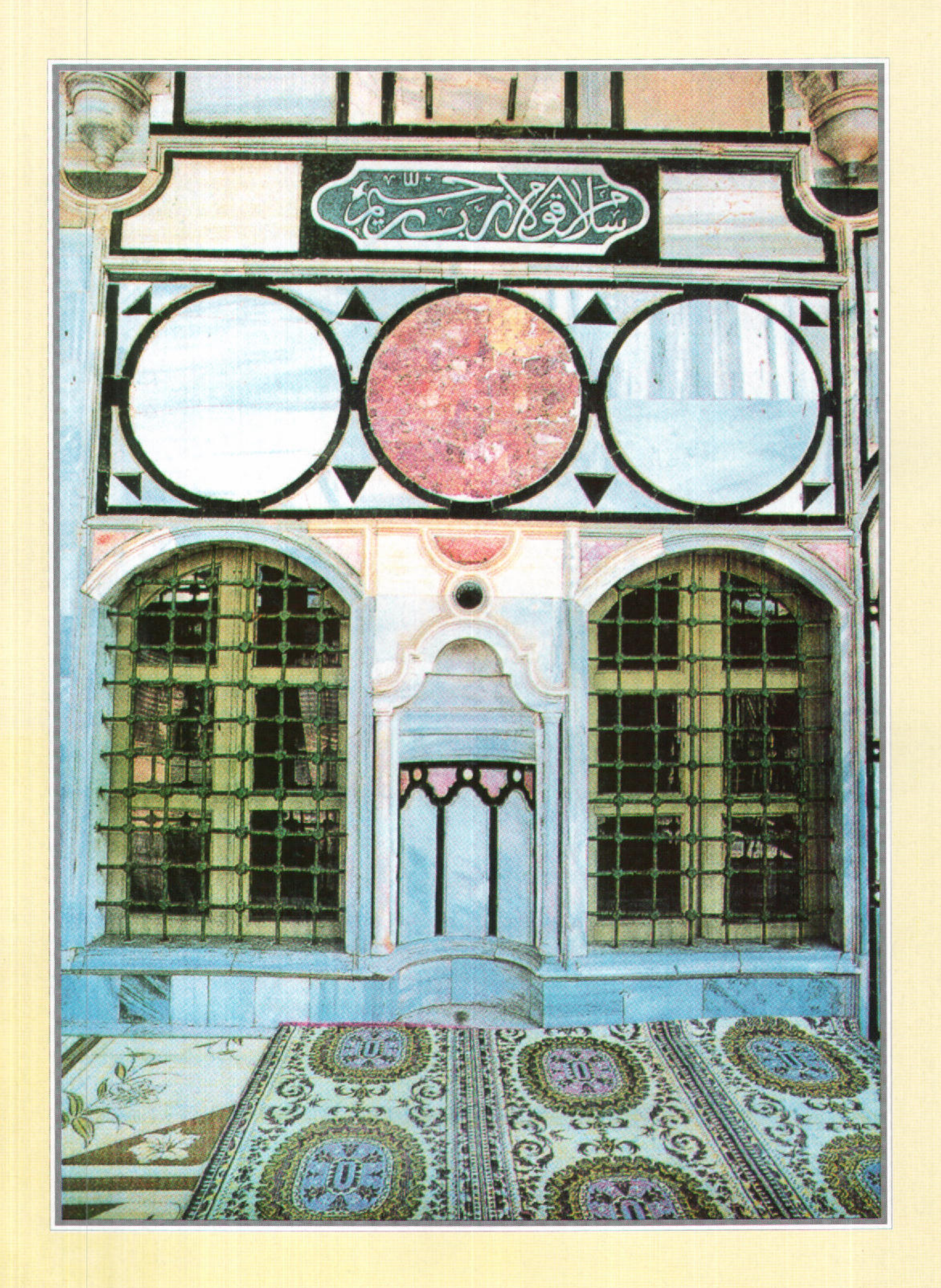
لم **تعد عكا** على نحو ما نعتها به ابن شداد في (الأعلاق الخطيرة) من أهل القرن السابع، ولم تبق كذلك خرابا كما وصفها الرحالة المغربي ابن بطوطة في القرن الثامن ولكنها أمست كما يتحدث عنها ابن عثمان أيام كان وزيرُها وواليها هو القائد الشهير أحمد باشا الجزار الذي خصص للسفير ابن عثمان منزلا مشرفا على البحر في أحسن موقع بخان جديد أنشأه الباشا هناك على ساحل المرسي.

وفي اليوم الموالي استُدعى ابن عثمان من لدن الوزير الذي كان يشتكي من مرض ألم به، وجلس السفير إلى جانب الوزير نحوا من ساعة ... ولهذا الوزير - يقول ابن عثمان - أثر كبير بهذه المدينة وهو الذي شهرها وبه شهرت !

وأنشأ بها مسجدا من أحسن المساجد وألطفها على شكل مساجد القسطنطينية، وغرس في صحنه المستدير به شجرا مصفوفا من نخيل وسرو، وأنشأ بها أيضا حماما ما رأيت مثله لا في القسطنطينية ولا في الشام !



المسجد الأعظم الذي تحدث عنه ابن عثمان في عكة



منظر داخل المسجد الأعظم في عكة

وأهل البلد يثنون عليه كثيرا فله جرايات على الضعفاء والفقراء، ورواتب لأهل الحياء والحشمة الذين لا يسألون الناس إلحافا[1].

إلا أنه به شُموس من الدولة آبى القياد، يفعل في بلاده برأيه ويقبل من أوامرها ما يوافق غرضه على حدّ تعبير ابن عثمان.

وقد استدعته الدولة ونحن هنالك للقدوم عليهم قائلين له : إنهم أرادوا بعثه لناحية العدو برسم الجهاد[2].

وقد استمتع ابن عثمان بالدخول إلى حمام عكة البديع ذي الصنع الرفيع ووجد أن القيم على الحمام أبدع وأحسن وأنصح، والطيور على أمثالها تقع[3].

ولما خرجت من الحمام وقعدت في إحدى مصاطبه للاستراحة أتى إلي، معرضا القهوة علي، فقلت عند رؤية شماله وقويم خده وتمايله شعراً ...

لم أنْس عكةَ إذ جعلتُها مأربي ... يوم دخلت إلى حمّامِها المعجب

إذْ قال ظبيٌ به : أسقيك قهوتنا ؟ ... فقلتُ : كلاً، فإني لستُ بالشاربِ

فقال : أو مِن شرابٍ حلا ؟ قلت : إنْ ... كان ولابدَّ من لَماك معْ شاربِ !

ثم ثنى عِطفَه يَتيهُ من خَجَلٍ ... فأكَّد التيهُ منه سورةَ الرَّاغبِ

فَرَامَ مشْياً فلم يقدر وأقعده ... ردْف بعجزه بثقله الغالبِ

ثم تبسَّم عن درّ وعن شَنْب ... ومال بِهِ الحيا قسْراً إلى جانب

أفْديه من أوطف عن لمس وجنته ... يحمي بقوسين موثورين من حاجب !!

(1) أحمد الجزار باشا، شخصيته بارزة في تاريخ بني عثمان، وقد كان واليا لإمارة عكا وهو الذي أمره السلطان سليم الثالث برد حملة بونابرت على نحو ما نقرأه في رسالة من السلطان سليم إلى ملك المغرب السلطان مولاي سليمان، بتاريخ 19 شعبان 1213 هـ/ 26 يناير 1799م. ومن الملاحظ أن أبا القاسم الزياني يصف أحمد الجزار بأنه، وقد اجتمع به عام (1226هـ/1811م)، يزعم أنه المهدي المنتظر، ويذكر أن أسلافه نزلوا أرض بوشناق (البوسنة). محمد الفاسي : مشاركة المغرب في الجهاد المصري ضد الحملة الفرنسية. دعوة الحق مارس 1974 ـ الترجمانة الكبرى 257 د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب ج 9 ص 44.

(2) الإشارة إلى الحرب التي أخذت تظهر بوادرها بين روسيا وتركيا عام (1787م).

(3) أنظر كتاب الاعتبـار، لأسامة بن منقذ، عند حديثه عن الرجل الحمامي، تقديم عبد العزيز بن عبد الكريم التويجري، تحقيق د. قاسم السمرائي، دارالأصالة، الرياض (1987م).

وبعد أن أتى بتلك القطعة الشعرية التي ذكرتنا فيما كان قاله في نابولي عند مشهد مماثل ![1] عاد ليخبرنا بأنه بعد أن اطمأن على المركب العائد إلى جهة المغرب فإنه يتوجه لزيارة القدس الشريف على ما نقرأه في النص الكامل الذي نورده - محققا معلقا عليه - بعد هذا التقديم ...

* * *

وسنلاحظ بادئ ذي بدء أن الرحالة ابن عثمان المكناسي يستعمل لتحديد المسافات مصطلحا لم نكن نسمع به في الرحلات الماضية، ويتعلق الأمر بما يسميه "الساعة"! وهكذا فلم يعد مجال لاستعمال عبارة المرحلة أو عبارة يوم وليلة أو ما شابه من الألفاظ القديمة فإن السفير المغربي يتوفر على ساعةٍ ميكانيكية تضبط خطوط سيره.

وقد تحدث ابن عثمان عن أحد المضارب العربية على مقربة من تربة الشيخ الزعبي، وبيت الزعبي بيت نبيه في فلسطين عرفنا منه عدداً من الشخصيات الموموقة.

ثم يتحدث أيضاً عن قلعة صانور : القلعة التي بناها الشيخ محمد جرار في النصف الثاني من القرن الثامن عشر ... ولم يتردد ابن عثمان في القول بأن أهل القلعة يأخذون احتياطهم من كل وارد عليهم فهم لا يسمحون بحمل السلاح داخل قلعتهم.

أكثر من هذا يذكر ابن عثمان بأن صاحب القلعة ولو أنه، صوريا، تابع لوزير الشام إلا أنه غير منقاد إليه على نحو ما قاله سابقاً عن وزير عكا أحمد الجزار الذي لا ينقاد لرؤسائه في القسطنطينية العظمى.

وهذه وقفة تستدعي منا البحث عن تلمس "الخلل" الذي أخذ يدب في أجهزة الدولة العثمانية إن على مستوى الوزراء أو على مستوى الولاة.

لقد كان هذا الخلل من المؤشرات التي تنذر بالخطر بالنسبة لمستقبل الوجود العثماني بالمنطقة ... ومن هنا تطرح قضية الأمن نفسها، فلا بد لكل مار من هذه الدروب من فارس يحمي المارين والزائرين ... وخاصة إذا كان من الأثرياء والأغنياء، ومعنى وجود فارس أو "زطاط" كما نسميه في بلاد المغرب أن هناك عدم انضباط في نقط المرور على ما سنرى عند الفقرات الخاصة بمقارنة الرحلة مع الرحلات المعاصرة.

---

(1) كان مما قاله ابن عثمان، في نابُولي، وقد جمعه مجلس أنس :

غزال يدرّي الألبابَ سحراً ... بألحاظ سقام كي يصيد
بنابل قد ثوى في كل جسم ... له في قلبه رسم جديد

د. التازي، ابن عثمان في نابولي، عن محاضرة ألقيت في المعهد الجامعي للدراسات الشرقية، نوفمبر 1991م. - د. كليليا سارنلّي تشركو : السفير محمد بن عثمان المكناسي وبعثته الدبلوماسية إلى نابولي (سنة 1782م/ أواسط شعبان سنة 1196هـ) نشرته كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة المولى إسماعيل - مكناس، ضمن سلسلة الندوات رقم 5 "أدب الرحلة في التواصل الحضاري" 1993م.



رسم قديم مفصل للقدس عن المكتبة الوطنية بباريز، رقم C 28137

وقد أشار ابن عثمان عندما دخل القدس الشريف إلى **أوقاف المغاربة بالقدس** وقال : إن عليها وكيلا ولها أوقاف، والواقع أن مثل هذه الأروقة والزوايا مما ظل الرحالة والمؤرخون يرددون صداه منذ الوقت المبكر.

وقد تحدث الرحالة الفارسي ناصر خسرو علوى عام (438هـ/1047م) في كتابه (سفرنامه) الذي ترجمه الزميل الراحل الدكتور يحيى الخشاب ... أقول تحدث عن رواق المغاربة في القدس وتحدث عن وجود الدنانير المغربية بالقدس والخليل وعن الحصير المغربي الذي كان يفوق الديباج حسناً[1].

ولا ننسى - مع ذكر الحصير - حديث الجاحظ عام (255 هـ/870م) في كتابه (التبصر بالتجارة) عن أن اللبود المغربية الحمراء تأتي في المرتبة الثانية من حيث الجودة والإتقان بعد اللبود الصينية[2].

ومن هنا لا نستغرب الحديث عن الحضور المغربي بكثافة في القدس والخليل منذ التاريخ المبكر ... فلقد تنبه المغاربة لما يهدد بيت المقدس من غزو، وبهذا نفسر وجود عدد كبير من العقارات في مدينة القدس وخارجها أصبحت منذ العصور الأولى ملكا للمغاربة.

ومن المفيد أن نسجل هنا، تأكيداً لما قاله ابن عثمان، مضمون وثيقة ترجع إلى عام **ثلاث وسبعمائة** (1303م) قبل تاريخ وثيقة أبي مدين، وهي عبارة عن وقف الشيخ الصالح عمر بن عبد النبي المغربي المصمودي الملقب بالمجرد، بتعمير الزاوية المعروفة **بزاوية** المغاربة وهي بأعلى حارتهم كما يحدد ذلك مجير الدين في كتابه الأنس الجليل[3] ويتعلق الأمر بثلاث دور تقع بحارة المغاربة مع جميع ما تعرفه وينسب إليها خارجا عنها أو داخلا فيها.

وإلى جانب الدور الثلاث حبس المجاهد السيد عمر المصمودي جميع الزاوية الأخرى التي أنشأها هو بأعلى حارة المغاربة من **جهة الغرب** والتي كانت تشتمل على عشر حجرات بجميع مرافقها داخلا فيها وخارجا عنها ...

وقد كانت أوقاف المجاهد **المصمودي** محبسة على المغاربة المحتاجين سواء منهم المقيمون بالقدس أو العابرون.

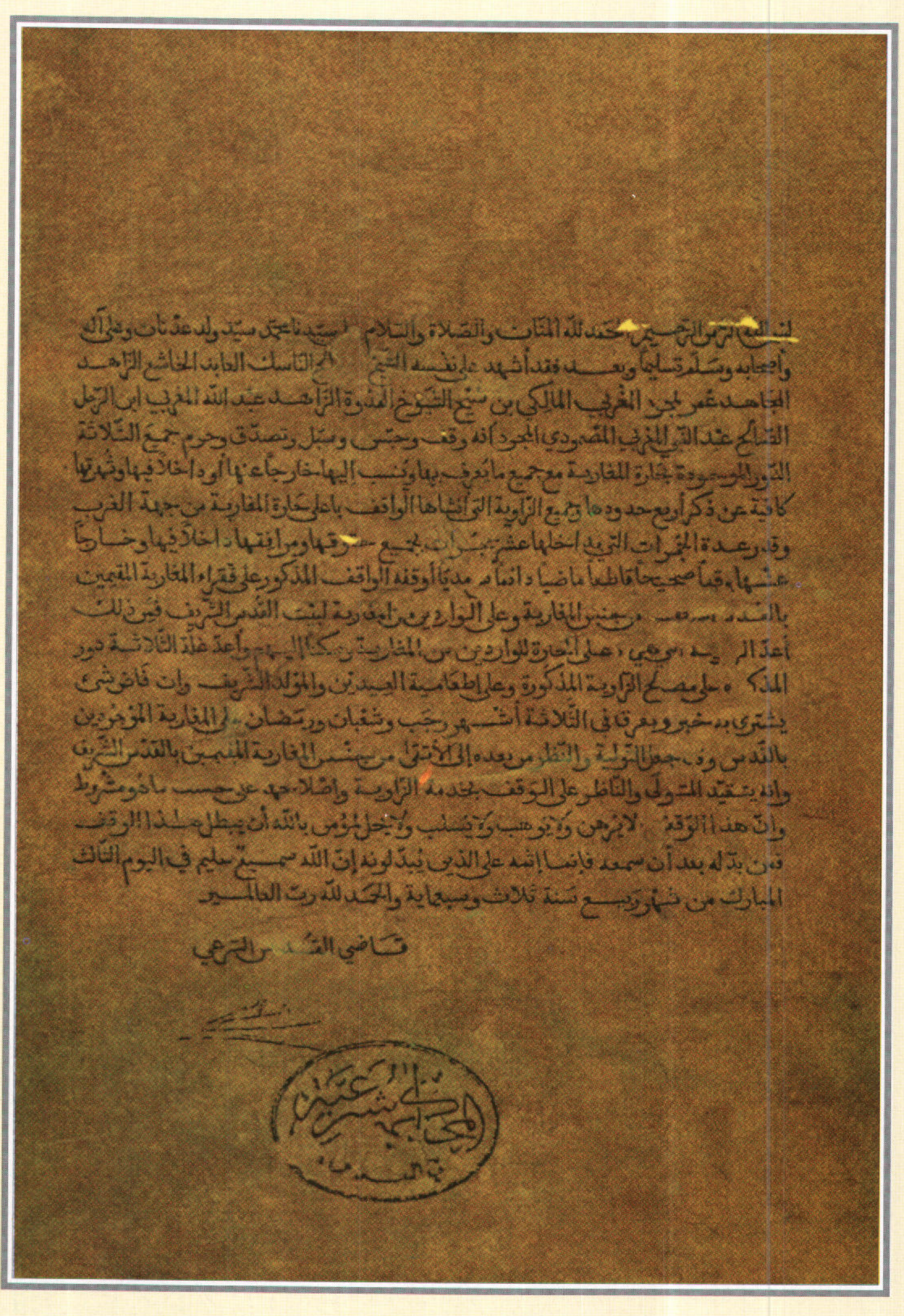
وقد جعل الإنفاق على الزاوية من مداخيل الدور الثلاث وجعل الفائض مصروفاً على الضعاف طوال الشهور الثلاثة، رجب وشعبان ورمضان.

---

(1) ناصر خسرو علوي : سفر نامه، ترجمه د. يحيى الخشاب، الهيأة المصرية العامة للكتاب 1993 ص 75.

(2) كتاب التبصر بالتجارة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة المعارف مصر 1985.

(3) الأنس الجليل ج 2 ص 45 – 146 – 163.



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنان والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وعلى آله
وأصحابه وسلم تسليما وبعد فقد أشهد على نفسه الشيخ [illegible] الناسك العابد الخاشع الزاهد
المجاهد عمر بن جزء المغربي المالكي بن شيخ الشيوخ القدوة الزاهد عبد الله المغربي ابن الرجل
الصالح عبد النبي المغربي المصمودي المجرد أنه وقف وحبس وسبل وتصدق وحرم جميع الثلاثة
الدور الموصوفة بحارة المغاربة مع جميع ما يعرف بها وينسب إليها خارجا عنها أو داخلا فيها وشهرتها
كافية عن ذكر أربع حدودها وجميع الزاوية التي أنشاها الواقف بأعلى حارة المغاربة من جهة الغرب
وقدر عدة الحجرات التي داخلها عشر حجرات بجميع حقوقها ومرافقها داخلا فيها وخارجا
عنها وقفا صحيحا قاطعا ماضيا دائما مدى أوقفه الواقف المذكور على فقراء المغاربة المقيمين
بالقدس [illegible] من جنس المغاربة وعلى الواردين من المغاربة لبيت المقدس الشريف فمن ذلك
أعد [illegible] على الحارة للواردين من المغاربة [illegible] وأعد غلة الثلاثة دور
المذكورة على مصالح الزاوية المذكورة وعلى إطعامية العيدين والمولد الشريف وإن فاض شيء
يشتري به خبز ويفرق في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان على المغاربة الموجودين
بالقدس وقد جعل التولية والنظر من بعده إلى الأتقى من جنس المغاربة المقيمين بالقدس الشريف
وأنه يتقيد المتولي والناظر على الوقف بخدمة الزاوية وإصلاحها على حسب ما هو مشروط
وأن هذا الوقف لا يرهن ولا يوهب ولا يسلب ولا يحل لمؤمن بالله أن يبطل هذا الوقف
فمن بدله بعد أن سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم في اليوم الثالث
المبارك من شهر ربيع سنة ثلاث وسبعماية والحمد لله رب العالمين

قاضي القدس [illegible]

وثيقة وقف المصمودي لعام 703هـ/1303م

وقد كان المجاهد المصمودي يشرف بنفسه على الأوقاف. وقد اشترط لمتولي أوقافه في حالة وفاته - أن يكون من **جنس المغاربة** المختارين من ذوي التقى والصلاح.

وقد نددت الوثيقة بكل من يحاول إبطال الوقف أو تفويته، وقد ختمت هكذا : في اليوم المبارك من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعمائة (دجنبر 1303م).

ولم تكن وقفية **المصمودي أول** لائحة في الأوقاف ولا آخرها فنحن على مثل اليقين من أن هناك عشرات الحجج التي لا تقل أهمية عن الأولى مما تطوع به المحسنون المغاربة.

ونذكر من هذه الحجج الهامة مضمون وثيقة الشيخ أبي مدين شعيب ابن المجاهد أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الإمام بركة المسلمين حجة الله بقية السلف الصالحين أبي مدين شعيب المغربي العثماني المالكي تلميذ سيدي صالححرزهم (حرازم) ودفين تلمسان 594هـ/1198م).

لقد حررت في "اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبعمائة" (2 نونبر 1320) في حياة العالم العارف أبي مدين (الحفيد) حجة وقف تثبت أنه حبس مكانين اثنين كانا تحت ملكه وتصرفه وكان يتولى هو نفسه الإشراف عليهما / أولهما قرية تعرف بقرية عين كارم من قرى مدينة القدس الشريف، وتشتمل على أراضي فيها المعتمل والمعطل وفيها العامر والداثر، والأوعار والسهول والصخور ... كما تشمل على آثار دور برسم سكنى فلاحيها، وآثار بنيان بأراضيها وبساتين ذات أشجار رمان وغير ذلك مما يستقى من عين مائها، وأشجار زيتون رومي وخروب وتين وبلوط ... بجميع حقوقها ومرافقها ومزروعها ومفلحها وأندرها ودمنها والآبار ودوالي العنب العتيقة الرومية وجميع ما ينسب للقرية المذكورة داخلها وخارجها ما عدا مسجد الله تعالى وطريق المسلمين **ومقبرتهم** ...

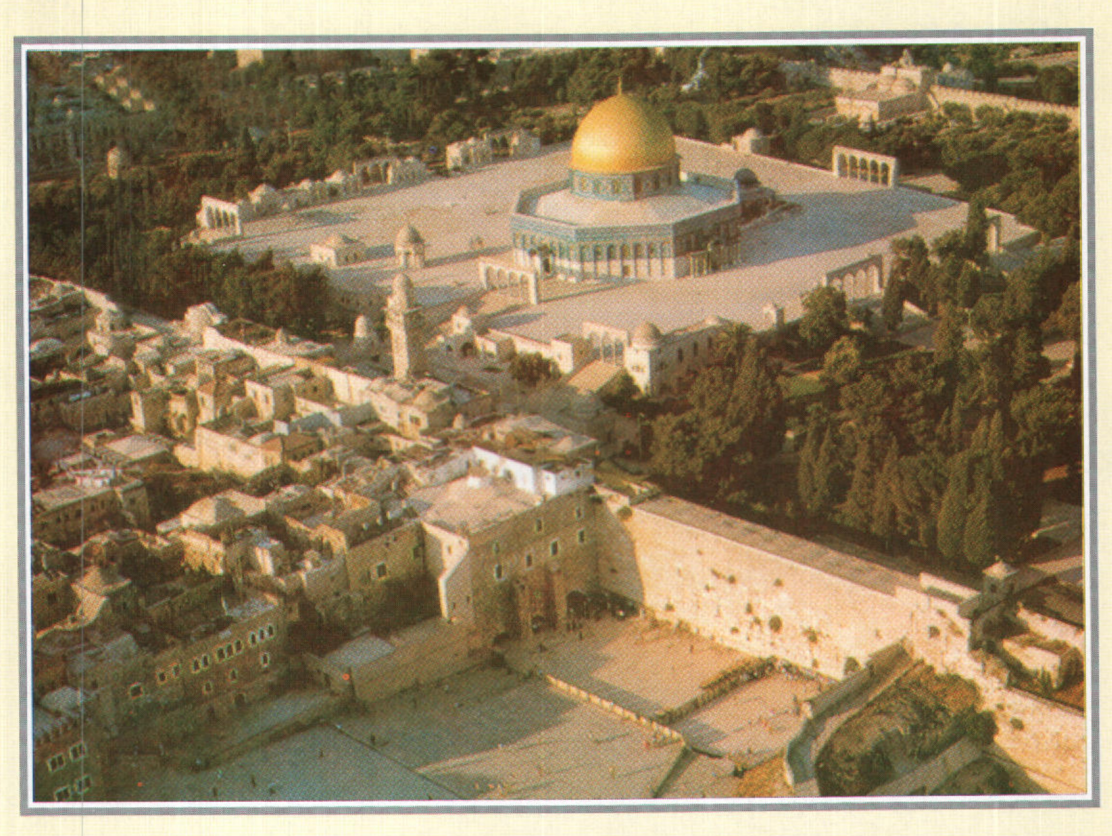
وقد حددت الوثيقة قرية عين كارم من الجهات الأربعة، فالناحية القبلية منها تنتهي إلى المالحة الكبرى، والناحية الشمالية تنتهي إلى بعض أراضي عين كاووت وقلونية وحاراش وصاطاف وزاوية البختياري. والناحية الغربية تنتهي إلى عين الشقاق ... والناحية الشرقية تنتهي إلى بعض أراضي المالحة الكبرى وبيت مرميل.

أما ثاني المكانين فإنه يقع بمدينة القدس نفسها بالخط الذي يعرف بقنطرة (أي ساباط) أم البنات بباب السلسلة وهو يشتمل على إيوان وبيتين وساحة ومرتفق خاص ومخزن وقبو يقعان سفلي ذلك.

وإذا كانت الوثيقة قد حددت جهات المكان الأول فإنها لم تهتم بذكر ما يجاور المكان الثاني من بقاع مكتفية بأن الجهات الأربعة التي تحيط بالايوان **معلومة لدى الخاص والعام**.



قبة الصخرة

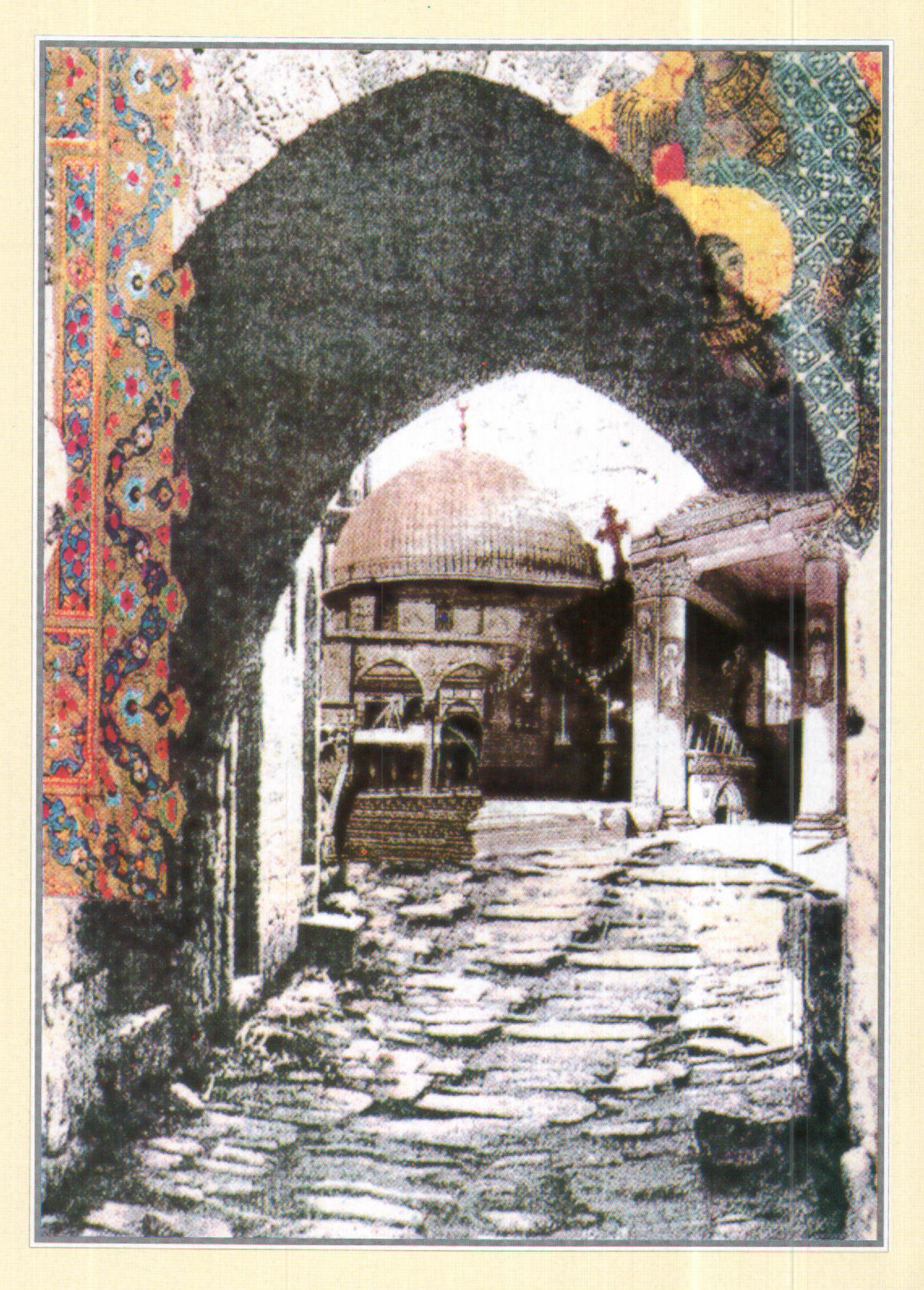


قبة الصخرة

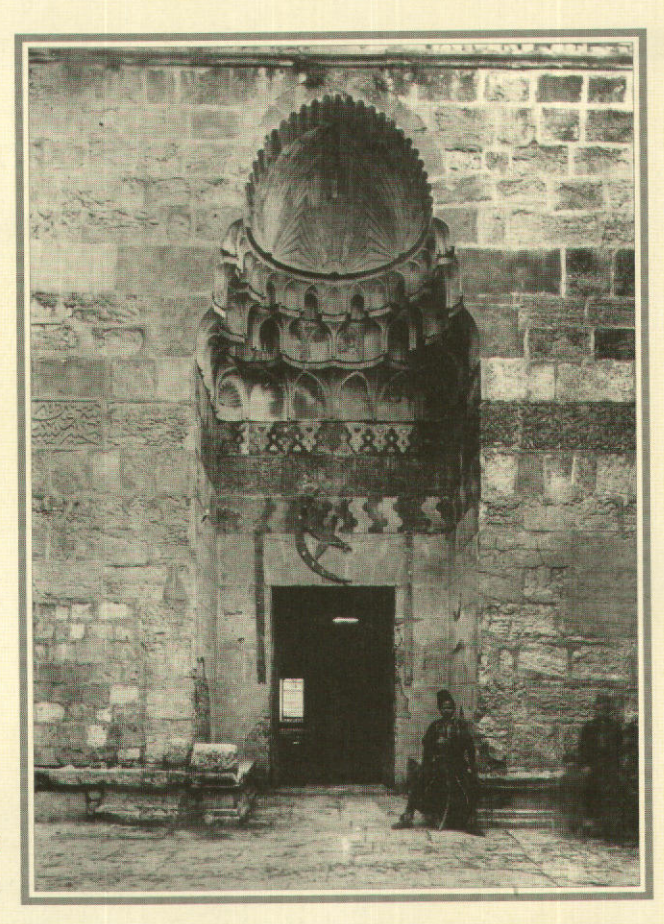
وعلى خطوة منها كان حي المغاربة الذي أصبح أثراً بعد عين في صيف (1967م)

ويظهر حائط المبكى وأمامه فضاء واسع قسم بين الرجال والنساء.

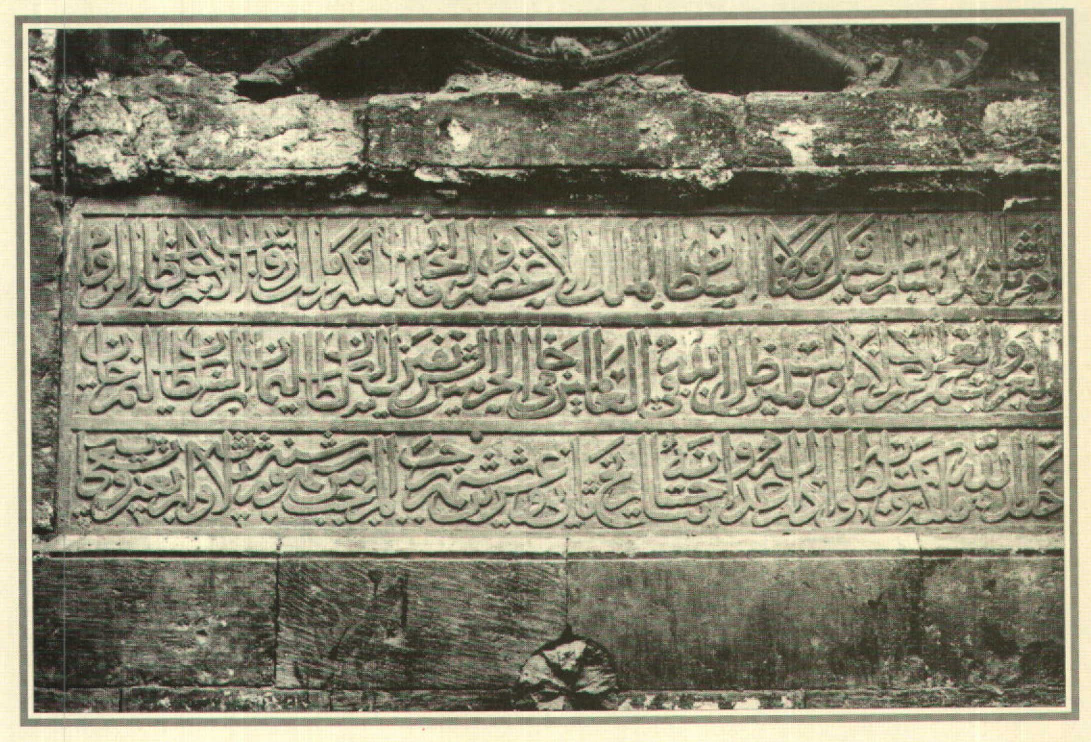
هذا الحائط كان دوماً مزارة لليهود دون أي اعتراض



لقطة من المدينة تظهر إحدى قباب المسجد



لقطة من المدينة المقدسة أيام الحكم العثماني، عن أرشيف ماكس فان بيرشم



من نقوش المدينة المقدسة، عن أرشيف المستشرق السويسري ماكس فان بيرشم

وبعد هذا تنص الوثيقة على أن كلا من قرية عين كارم والايوان حبس على المغاربة المقيمين بالقدس الشريف أو القادمين إليه، على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم، ذكورهم وإناثهم، كبيرهم وصغيرهم، فاضلهم ومفضولهم، لا ينازعهم فيه منازع ولا يشاركهم فيه مشارك. ينتفعون في ذلك بالسكن والإيجار وسائر الانتفاعات والمقاسمة والمزارعة. ويقدم في ذلك الواردون على المقيمين، والأحوج، والأدين فالأدين.

وتهتم الوثيقة بعوائد الوقف في حالة ما إذا انقرض المغاربة من القدس، فتنص على أنها تعود إلى المغاربة المقيمين بمكة المكرمة والمدينة المنورة فإذا لم يبق أحد من المغاربة هناك فإن الفوائد ترجع إلى الحرمين الشريفين.

كما تهتم الوثيقة بناظر تلك الأوقاف وأنه في حالة وفاة العالم العارف أبي مدين يختار (الناظر) من المغاربة المقيمين بالقدس ممن يشهد له بالرشد والتقوى وممن يتعهد الوقف بعمارته وإصلاحه وصيانته مما يحفظ بقاء عينه ويزيد في ريعه.

وتوضح حجة الوقف هذه وجه النفع من (الإيوان) المحبس في مدينة القدس، فتذكر أنه أي الإيوان أعد ليكون (زاوية) يسكن فيها من توفرت فيه الصفتان : أن يكون ذكراً وأن يكون مجرد عابر.

وتوضح الوثيقة شروط الانتفاع من قرية عين كارم، وأنه لا ينبغي أن تؤجر لأكثر من سنتين وأن لايستأنف عقد إلا عندما ينتهي العقد الأول، وذلك حتى لا يتهددها سطو أو ادعاء ...

وقد اهتم الواقف رحمه اللّه بما يفضل من الأحباس من الفائض فخصصه للترفيه على المحتاجين من المغاربة سواء منهم المقيمون بالقدس أو العابرون عليه وذلك طوال الأشهر الثلاثة : رجب وشعبان ورمضان بعد صلاة العصر، كما خصص جانبا منه لتقديم الطعام بمناسبة عيد الفطر وعيد الأضحى وعيد المولد الشريف.

وقد خصص الواقف بعضا من الفائض أيضا لكسوة القادمين من المغرب ممن يشعرون بحاجتهم لما يحميهم من قسوة الطقس.

وأخيرا فإن الوقف يضمن للذين أدركهم أجلهم في هذه الديار من المغاربة المحتاجين أن يجهزوا إلى مثواهم الأخير.

وقبل أن تأتي الوثيقة على النهاية **تنذر المعتدين** على هذا الوقف بمسؤوليتهم بهذه العبارات : «ولا يحل لأحد يؤمن باللّه واليوم الآخر، ويعلم أنه إلى ربّه العظيم صاير، من أمير أو مأمور وذي **سلطان جائر، أن يبطل هذا الوقف** ... ومن فعل ذلك وأعان عليه فاللّه تعالى طليبه وحسيبه ومواخذه ومجازيه، ومن خالف ذلك فقد عدل عن أمر ربّه وتمرد عليه واستحق لعنته».

وختم الرسم بسرد التاريخ هكذا : «وذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبعمائة (2 نونبر 1320م) على ما يوجد في سجل أوقاف المغاربة الموجود بالمحكمة الشرعية بالقدس».

ولا بد أن نشير علاوة على كل هذا أنه كان للمغرب بالقدس **وكلاء** على مر الزمن، وقد عرفنا منهم الشيخ الفاضل طلحة العبد الوادي الذي ذكره ابن بطوطة وهو عائد عام (749هـ/1348م) من رحلته الطويلة، ثم عرفنا منهم الشيخ محمد بن عبد الوارث المالكي الذي يحتفظ التاريخ له بوثيقة كتبت في العشر الأوسط من شهر ذي القعدة الحرام سنة خمس وتسعين وسبعمائة (أكتوبر 1393).

وتتضمن هذه الوثيقة شكوى رفعها شيخ المغاربة إلى كافل السلطنة في دمشق في أعقاب التجاء اليهود إليه ليتدخل لصالحهم في رفع الحجز الذي فرضه والي المدينة على تركة أحد اليهود[1].

ويتساءل هنا عن العلاقة بين هذه "الأوقاف" المغربية وبين وجود حي بكامله يحمل اسم حي المغاربة ؟

وللجواب عن هذا السؤال لا بد أن نرجع لإفادة الرحالة الأندلسي ابن جبير الذي زار بلاد المشرق في النصف الثاني من القرن السادس أي في الفترة التي شاهدت احتكاك المسلمين بالفرنج.

لقد ذكر أن طائفة من انجاد المغاربة غزت مع نور الدين رحمه الله أحد الحصون فكان لهم في أخذه ذكر ظهر واشتهر، فعاقبهم الإفرنج بضرائب مكسية ثقيلة نكالا بهم على أن تألبوا مع إخوانهم المسلمين بيد أن المغاربة، يقول ابن جبير، كان لهم في أداء هذا المكس سببا في الذكر الجميل لنكايتهم العدو[2].

وقد كان نور الدين رحمه الله نذر في مرضة أصابته توزيع اثنى عشر ألف دينار في فداء أسرى من المغاربة فلما استبل من مرضه أرسل في فدائهم فسيق معهم نفر ليسوا من المغاربة وكانوا من مدينة حماة من جملة عمالته، فأمر بصرفهم وافتداء عوض عنهم من المغاربة، وقال : هؤلاء يفتديهم أهلهم وجيرانهم، والمغاربة غرباء لا أهل لهم[3].

فإذا ما أضفنا إلى هذه الشهادات ما ورد في المصادر التاريخية الأخرى من أنه بعد خمس سنوات من فتح صلاح الدين لبيت القدس خلف الملك الأفضل نور الدين أبو الحسن والده على بيت المقدس عام (589 هـ/1193م) [4] وهنا أنشأ هذا الملك وقفا كان هو البقعة التي اعتاد المغاربة أن يجاوروا عندها في بيت المقدس بقرب الزاوية الجنوبية الغربية لحائط الحرم وفي أقرب مكان للمسجد الأقصى، وقفاً عليهم ذكوراً وإناثاً "ليسكنوا في مساكنها وينتفعوا بمنافعها" وأنشأ لهم في الحارة نفسها مدرسة عرفت بالأفضلية ... وحدود الحارة هذه كما وردت في حجة الوقف، هي من الجنوب : سور المدينة، ومن الشرق

---

(1) د. التازي : التاريخ الدبلوماسي للمغرب – ج 2 ص 262.

(2) رحلة ابن جبير، محفوظة لدار ومكتبة الهلال - بيروت (1981م) ص 247.

(3) رحلة ابن جبير ص 253.

(4) الأنس الجليل ج 1 ص 293–397 - ج 2 ص 46.

حائط الحرم الشريف ومن الشمال طريق باب السلسلة المؤدي إلى الحرم الشريف ومن الغرب حارة الشرق حيث سكن الحكام والقضاة.

ويظهر من نص الوقفية أن صحيفتها الأصلية قد ضاعت، فأعيد تقييد شروط الوقف بأمر القاضي الشرعي بكتاب **"متصل الثبوت بحكم الشريعة"** وقد تم ذلك مرتين، **الأولى** في سنة (666 هـ/1268م)، بعد نحو أربعين سنة من وفاة الملك الأفضل **والثانية في سنة** (1004هـ/1596م) بعد نحو ثمانين سنة من ابتداء الحكم العثماني[1].

* * *

وفي معرض حديث ابن عثمان عن عرض المسجد الأقصى وطوله فضل أن يعد بالقدم وليس بالذراع، كما فعله آخرون قبله ابتداء من المقدسي والحنبلي.

وفي هذا الصدد نذكر أن قنصل فرنسا في القدس أرسل، حوالي سنة 1881م، النص المكتوب على الجامع وهو يقتضي أن طول المسجد سبعمائة وأربعة وخمسون ذراعا وعرضه أربعمائة وخمس وخمسون ذراعا بذراع الملك[2] ...

وإذا كان بعض الرحالة السابقين من أمثال ابن بطوطة قد فاتهم نقل ما يوجد من نقوش على دائرة المحراب أو فوقه مما يسجل بعض التواريخ **فإن البلوي في رحلته** سالفة الذكر (تاج المفرق) وابن عثمان في رحلته (إحراز المعلى والرقيب) ذكرا بعض هذه الوثائق المنقوشة مما يرجع منها لسنة ثلاث وثمانين وخمسمائة أو ثمان عشرة وسبعمائة على ما سنعرفه في النص.

* * *

ومن خلال إفادات ابن عثمان نقف على حقيقة تاريخية تهمنا في هذا الموضوع، تلك هي خريطة الطوائف الدينية لسكان القدس ... ماذا عن عدد اليهود والمسيحيين والمسلمين ؟ ففيما يتعلق باليهود نلاحظ أن الرحالة المغربي وسائر زملائه الذين سبقوه إنما تحدثوا عن الحضور المسيحي إلى جانب الحضور الإسلامي طبعاً، وهكذا فإنه لم يرد عند ابن عثمان ذكر لليهود في بيت المقدس إلا من خلال ذكره لمقبرتهم.

ونحن نعلم من خلال التاريخ القديم أن الإمبراطور الروماني VESPASIANUS وفي أعقاب مشاكل بينه وبين اليهود ـ قرر القضاء على هؤلاء، وهكذا أرسل ابنه تيتوس Titus على رأس جيش كبير ... وتم تخريب أورشليم يوم 8 دجنبر سنة 70 ميلادية وإجلاء جميع اليهود عنها.

ومن هنا قرأنا في الجزء الأول من كتاب الأنس الجليل هذا العنوان : **"ذكر خراب بيت المقدس الخراب الثاني وهلاك اليهود وزوال دولتهم زوالاً لا رجوع بعده"**.

---

(1) يوجد نص الوثيقة في السجل رقم 77 ص 588 في المحكمة الشرعية.

(2) سفر نامه، ص 69 تعليق I. وانظر رحلة ابن بطوطة، ج I ص 121، تحقيق د. التازي. تعليق 18.

وللتاريخ نذكر أن القدس ظلت محرمةً على اليهود منذ ذلك التاريخ حتى ظهر الإسلام واستولت جيوش عمر بن الخطاب على إيلياء (القدس) سنة (15هـ/637م) فهنا وأثناء تطويق المدينة في انتظار قدوم الخليفة حضر البطريرك صفرونيوس ومعه مشروع معاهدة تعرف نصوصها من كتب التاريخ أمثال **(فتوح الشام) للأزدي البصري** الذي نبغ في النصف الثاني من القرن الثاني للهجرة ... فقد ألح البطريرك على عدم السماح لليهود بالعودة إلى القدس على نحو ما استقر عليه الحال منذ القرار الروماني سالف الذكر.

وجلي من خلال التعامل مع هذا البند، أن الخليفة عمر ومن أتى بعده من الحكام كانوا يتجاهلون تطبيقه إذ إن موقف الإسلام واضح أتم الوضوح فيما يتصل بأهل الكتاب[1].

ومن هنا قرأنا في "الأنس الجليل" لمجير الدين الحنبلي أنه كان في بيت المقدس عدد من العمال اليهود الذين توالدوا ... على نحو ما كان فيه من عمال نصارى، يتوارثون الخدمة عند المسلمين، وكان منهم من يعمل لصيانة أطراف المسجد ويتعهد قنواته ويعنى بإسراجه وثرياته.

كان هذا منذ عهد الخليفة عبد الملك بن مروان وظل الحكم على هذا في أغلب الأحيان، ومعنى هذا أن أهل الكتاب ظلوا يعملون سواسية في حظيرة القدس متمتعين بحرية ممارسة شعائرهم الدينية.

وهكذا ظلت الخريطة الدينية للقدس على نحو ما رأينا ... ويلح المقدسي في كتابه (أحسن التقاسم) على القول بأن بيت المقدس كان يضم أعداداً كبيرة من اليهود والنصارى في ظل الإسلام[2] ...

ويذكر ناصر خسرو علوي في كتابه (سفر نامه) أن كنيسة القمامة كان يحج إليها كل سنة كثير من بلاد الروم.

وقد زارها ملك الروم متنكرا أيام عزيز مصر الحاكم بأمر الله فبلغ ذلك لعزيز مصر، فأرسل إليه أحد حراسه الذي أبلغ ملك الروم ما يلي : "تحسبني أجهل أمرك ! ولكن كن آمنا فلن يقصدك أحد بسوء !!".

ومن المهم أن نشير هنا إلى أنه حتى بعد احتلال القدس من لدن الإفرنج عام (492هـ/1099م) ظل المسلمون يحجون إلى بيت المقدس بل إن التعبير عن التعلق به ازداد على ما أسلفنا عند الحديث عن ابن بطوطة.

ولا بد أن نذكر هنا أنه في هذه الفترة بالذات أخذت تظهر الكتب الخاصة بتسجيل أماكن **الزيارات** حتى لا تتعرض للاندثار في عهد ذلك الاحتلال، ومن هنا رأينا الهروي يؤلف كتابه الإشارات وهو الكتاب الذي نقل عنه ابن عثمان المكناسي في رحلته موضوع الحديث.

(1) يواكيم مبارك : القدس ـ القضية، نقلته إلى العربية مهاة فرح الخوري ـ مجلس كنائس الشرق الأوسط، أعيد طبعه بمناسبة اللقاء الإسلامي المسيحي حول القدس (حزيران 1996م) ص 22-23.

(2) أحسن التقاسم، ص 156 - 167.

ونسجل هنا أن الفتح الصلاحي للقدس تبعته مباشرة هجرة عدد كبير من اليهود إلى المدينة، فقد كانوا أول من هلل لاسترداد المسلمين لبيت المقدس.

وتؤكد كلَّ هذا الذي نقلناه الرسائل الدبلوماسية المتبادلة بين القادة المسلمين وكذا الاتفاقيات المبرمة بين هذا الطرف أو ذاك (692هـ/1292م) مما هو صريح في أن طريق الحاج ظلت طريقا مأمونة ومضمونة بالنسبة لكل الفئات[1].

وقد ذكرنا قبل هذا عن شكوى رفعها وكيل المغاربة محمد بن عبد الوارث إلى كافل السلطنة في دمشق من أجل إنصاف يهودي التجأ إلى الوكيل المغربي ... ونحن نعلم عن السلطان الأشرف قايتباي (ت 901هـ/1496م) الذي ترك ذكرا لا يبلى في القدس عندما زاره بعد حجه عام (880هـ/1475م) وقد تحدث ابن عثمان المكناسي عن جامعه في القدس إلى جانب جامع المالكية، وقد كان من أعماله الشهيرة أنه ـ وقد استجار به اليهود على إثر تهديم «كنيسهم» بالقدس ـ أمر بإعادة الكنيس غاضا النظر عن عدم شرعيته بالرغم مما لقيته هذه المبادرة من اعتراض. وقد عرف القاضي الذي نفذ الأمر باسم (قاضي الكنيس) ومنه يتضح أن هذه أول رخصة رسمية لإقامة كنيس لليهود في القدس[2].

ويوجد في سجلات **المحكمة الشرعية التي تعكس تاريخ القدس** من جميع النواحي ما يستحق الانتباه فيما يتصل بعدد اليهود في المدينة فقد سجلت أسماءهم يوم 19 جمادى الأولى عام 980 هـ/27 شتنبر 1572م حيث بلغ عددهم مائة وخمسة عشر[3].

وها نحن أولاء نرى ابن عثمان يتحدث أكثر من هذا عن مفاتيح المعابد التي كانت توجد بيد **أهلها لا يدخلها غيرهم** والحالة أنها أي تلك المتعبدات توجد ضمن أراضي المسلمين ...

وسنرى أن الوضع سيظل على هذا المنوال حتى ما بعد زيارة ابن عثمان وحتى عندما احتل محمد علي باشا فلسطين عام (1247هـ/1831م) حيث ظلت الإدارة المصرية متسامحة مع اليهود بقدر تسامحها مع المسيحيين. وكان من أهم نتائج هذا تأسيس مجلس شورى دخله ممثلون عن اليهود والنصارى لأول مرة.

وأسست في القدس أول قنصلية بريطانية كان مما اهتمت به الحصول على حق حمايتها لعدد من اليهود حيث وجدنا بعض هؤلاء يقدم طلبا بواسطة القنصلية ليسمح له بتبليط (الحائط الغربي) "حائط المبكى" على نفقته.

لكن (مجلس الشورى) بعد أن نظر في الطلب أوصى برفضه فأصدر محمد علي أمرا بالاكتفاء بزيارة المكان على ما كان عليه الوضع القائم[4].

---

(1) Los Documentos Arabes Diplomaticos del Archivo De la corona De Aragon, Madrid 1940 p. 335

(2) يواكيم مبارك، القدس ـ القضية، مصدر سابق.

(3) السجل الشرعي رقم 55 ص 207. أنظر تاريخ القدس، لعارف العارف، ص 214. وانظر عبد اللطيف الطيباوي، دراسات إسلامية، المركز الثقافي الإسلامي لندن 1985.

(4) د. التازي، أوقاف المغاربة في القدس، ص 27.

ولما كثر اليهود بالقدس بعد عام (1300 هـ/1882م) أخذوا يجلبون معهم كراسي للجلوس عليها ويحملون ستائر يضعونها بين الرجال والنساء الأمر الذي عاق حركة السير بالنسبة لسكان البيوت المجاورة وهنا رفعت شكوى إلى المحكمة الشرعية التي اتخذت قرارها يوم (19 ذي القعدة 1329هـ/11 نونبر 1911م) بالاحتفاظ بالوضع القائم[1].

* * *

وقد رأى محمد بن عثمان بعد أن أنهى زيارته **لمدينة بيت المقدس** أن يزور مدينة الخليل التي سنقرأ حديثه عنها بإطناب وإسهاب لكنا نلاحظ عليه عدم ذكره وهو في الخليل **لزاوية كبرى** أقيمت في المدينة كان المفوض إليه في شأنها يوم خامس جمادى الأولى سنة خمس وتسعين وسبعمائة (مارس 1393م) هو الشيخ العلامة جمال الدين عبد الله **المراكشي الهنتاتي** المالكي وأقام بها وفعل من كل حسنة وجميل على حد تعبير مجير الدين في الأنس الجليل.

ثم في العشر الأول من شهر ربيع الأول سنة ست وثمانمائة (شتنبر 1403م) أقر الشيخ جمال الدين المذكور ولديه محمد وأحمد في المشيخة بالزاوية والتصرف فيها وكتب مستندا بذلك عليه خط شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن الهائم والشيخ خليفة المالكي.

وقد ورد في وصف **زاوية مدينة الخليل** أنها في غاية الحسن بناء ومنظرا وأن مؤسسها الأول الشيخ أبا حفص عمر المعروف بالمجرد (وهو غير عمر المصمودي المجرد سالف الذكر في أوقاف المغاربة بالقدس)، أقول مؤسسها الأول جعل منها زاوية في غاية الحسن بناء ومنظرا ومائدة كذلك[2] وبنى أماكن في أعلاها ورتب فيها من يتعلم، فإذا تخرج الطلبة خيرهم بين البقاء بالزاوية للاشتغال بالعلم أو يوفدهم إلى بلدة أخرى[3] لهذا الغرض، وعلى هذا الأساس تسلمها المراكشي الهنتاتي وأبناؤه من بعده.

وبعد أن أنهى ابن عثمان حديثه عن زيارة القدس والخليل قام باستعراض مسهب لمعظم ما يتعلق بتاريخ المدينتين وما قيل عنهما من لدن المؤرخين والمفسرين ورجال الحديث معتمدا في ذلك على ما استشاره من تآليف كان فيها ما عثر عليه في عين المكان لكن فيها ما رجع إليه بالديار المغربية وسنقتصر على التعليق على بعض الفقرات من تلك **الخاتمة** مما رأينا أنه بحاجة إلى استجلاء أكثر مما علقنا به على النص الذي أوردناه في آخر هذه الدراسة.

---

(1) من المهم هنا أن نذكر بتسوية مشكلة الحائط الغربي أو حائط المبكى عام (1921م) عندما اعترفت لجنة قانونية دولية ألفت لهذا الغرض بملكية الحائط للمسلمين، وبالسماح لليهود بالزيارة فقط.

(2) اشتهرت مدينة الخليل بأنها دار الضياف لأن إبراهيم، عليه السلام، كان يخرج كل يوم ليدعو الناس إلى (الدشيشة) وقد سمي أبا الضيفان لكرمه ... وما يزال إلى الآن لفظ "الدشيشة" المستعمل عند مجير الدين يعني سماط إبراهيم، واللفظ معروف إلى الآن بفلسطين كما هو معروف بالمغرب. ويقول مجير الدين في (الأنس الجليل) إنهم كانوا يضربون الطبل كل يوم بعد صلاة العصر عند باب المطبخ حين يوزع الطعام، ويشترك السكان مع الزوار في هذه الوجبات ... الأنس الجليل ج I ص 62-63.

(3) الأنس الجليل ج 2 ص 45-46-163-243.



رسم قديم لمدينة الخليل

ولقد استوقفنا من مصادر ابن عثمان علاوة على كتاب **الزيارات** لابن الحسن الهروي تأليف يكاد يصبح في حكم المفقود للشيخ التافلاتي المغربي الأصل الذي كان من أقطاب المالكية ثم لم يلبث أن أصبح من رجال الفتوى على مذهب الحنفية في القدس.

وتعتبر هذه الشخصية فعلا من **الجسور الهامة** التي ربطت المغرب بالمشرق وخاصة ببيت المقدس وقد ترجم له أكثر من واحد ممن عرفنا ولم نعرف، وكان في صدر هؤلاء شيخ الإسلام أبو الفضل محمد خليل بن علي بهاء الدين محمد المرادي البخاري الدمشقي النقشبندي مفتي السادة الحنفية بدمشق في كتابه (سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر) الذي جمعه من جملة الرحلات والأثبات والتراجم مع كثرة التنقير والتفحص الكثير والأخذ من الأفواه شفاها وبالمكاتبة إلى البلدان التي لم يكن رآها[1].

ومع هذا فإننا نظل مدينين لابن عثمان الذي كان أول من قدم لنا ذلك الرحالة المغربي الكبير الذي وهب نفسه وحياته للقدس الشريف وهو ينتمي إلى إقليم تافيلالت جنوب المغرب الذي أسدى لبلاد المغرب الخير الكثير ...

لقد عرفنا من تصانيف التافلاتي التي ناهزت الثمانين تأليفا حول ما ورد في الفصد والحجامة، والصلح بين المجتهدين، و"القهوة والدخان" إلى جانب رسالته "حسن الاستقصا لما ثبت في المسجد الأقصى"[2] الذي كان المرجع الأساس لابن عثمان المكناسي.

وهي تتضمن الجواب عن ثلاثين سؤالا وجهت للتافلاتي من طرف مندوب الدولة العلمية محمد أغا وقد أهداها للمشرف على نظارة الحرمين والمسجد الأقصى بشير آغا.

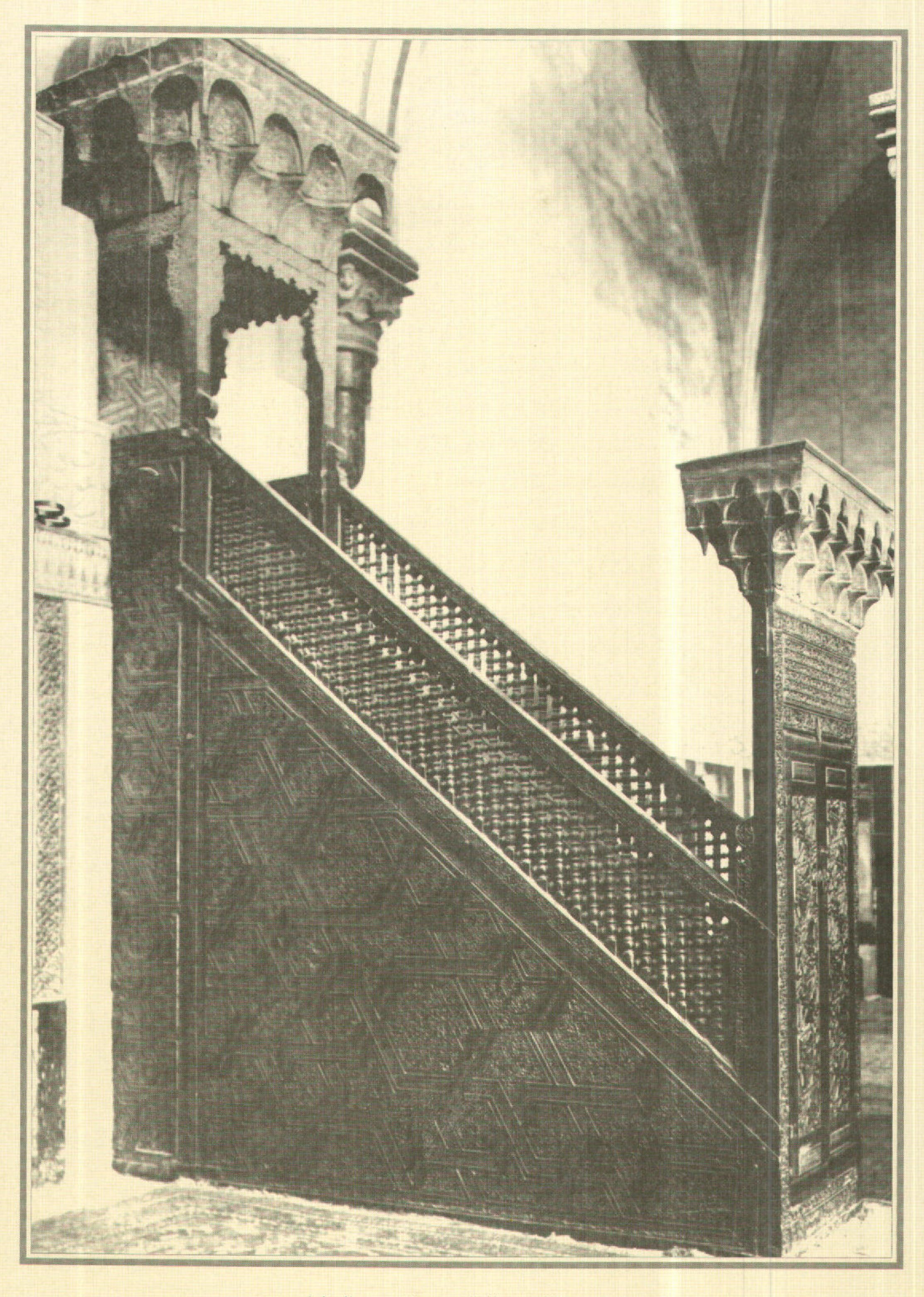
ولم يفت ابن عثمان أن يشير في هذه الخاتمة إلى أن فتح الخليفة عمر ابن الخطاب لبيت المقدس كان صلحا لا عنوة أي أنه كان يرتكز على **اتفاقية** عرفت بنودها في سائر المصادر التي اهتمت بتاريخ القدس بما سبقها من مراسلات بين الأطراف المعنية وخاصة بين القائد أبي عبيدة ابن الجراح والخليفة عمر بن الخطاب على ما أسلفناه عن الأزدي البصري، وقد ورد ذكره مفصلا في المجلد الأول من كتاب الأنس الجليل لمجير الدين الحنبلي مما يعتبر تغطية شاملة لهذه الفترة من التاريخ السياسي المبكر لدولة الإسلام.

وبوصول بني أمية للحكم قام الخليفة عبد الملك بن مروان ببناء قبة الصخرة كما يشير لذلك ابن عثمان فهل كان ذلك بوازع ديني لما أنه كان لا يرضى أن يرى المسلمون ما هي عليه كنيسة القيامة من عظمة وأبهة عرفنا عنها من خلال شهادة المقدسي والإدريسي ؟ أو بدافع سياسي لأنه أراد أن يلتفت المسلمون إلى بيت المقدس ولا يتجهوا إلى مكة حيث يوجد معارضه عبد الله ابن الزبير ؟.

---

(1) طبع كتاب المرادي بأجزائه الثلاثة في الآستانة عام (1291م) والجزء الرابع طبع في بولاق عام (1308م).

(2) بعد أن زودني مشكورا الزميل د. ناصر الدين الأسد، رئيس المجمع الملكي الأردني بمعلومات عن هذا المخطوط، حصلت على صورة منه بالفاكس من مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث في دبي، صباح الأحد (1996/11/3م) وإني لأجدد تقديري للأخ أبي خالد جمعة الماجد على غيرته وأريحيته، شاكرا للزميل د. فرفور عنايته ونجدته.



صورة للمنبر التاريخي لمسجد الخليل
عن أرشيف المستشرق السويسري ماكس فان بيرشم.

نظريتان اثنتان إحداهما ساقها اليعقوبي في تاريخه والأخرى ساقها المقدسي في كتابه أحسن التقاسيم على ما قلناه في تحقيق النص.

ومهما يكن ففي اعتقادي أن عبد الملك استعان **بالخبرة البيزنطية** في بناء قبة الصخرة على نحو ما سيقوم به ابنه الوليد بالنسبة **لجامع المدينة المنورة وجامع دمشق.** كما نقرأ ذلك في الذهب المسبوك للمقريزي وفي تحفة النظار لابن بطوطة[1] ...

وبعد الإشارة للحوار الذي جرى بين الخليفة عمر بن الخطاب والإمام علي حول الحجر الأسود بمكة المكرمة مما بسطناه في هوامش النص، بعد ذلك يرى ابن عثمان أن من واجبه أن يشيد **بالأعمال العمرانية** التي قامت بها الدولة العثمانية ليس فقط في ثالث الحرمين ولكن كذلك في مكة والمدينة "فلهم، أي للعثمانيين، اعتناء عظيم بهذه الأماكن فمهما سقط شيء منها أعادوه وما تلاشى جددوه ... ولهم هناك زيادة على هذه الاصلاحات الصدقة الجارية على من في القدس من الآباء والأبناء ..." سطور كثيرة خصصها لدور العثمانيين إزاء المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحلة إلا إليها.

ولم تكن هذه السطور من ابن عثمان هي الأولى والأخيرة في الإشادة بمنشآت العثمانيين في المنطقة فقد سبقتها شهادات أخرى عن تعبيدهم للطرق الموحشة والصعبة وعن بنائهم للمحطات التي تؤنس الحجاج وتساعدهم على أداء مناسكهم ...

ولا يخفى ما في هذه الشهادة من الدلالات السياسية بالنسبة لسائر حكام العالم الإسلامي الذين يتجهون في قبلتهم يوميا إلى الكعبة المشرفة.

ولابد أن هذا الموقف سيذكرنا **بما عاشته مكة** ـ وخاصة منبرها – من منافسات بين سلاطين مصر واليمن وإيلخان العراق وملوك المغرب أيضا ...

ونحن مع هذا الموضوع لا ننسى ذكر الرباع التي اقتناها العاهل المغربي أبو الحسن علي بن عثمان عام (738هـ/1338م) حيث نراه يخصص ستة عشر ألفا وخمسمائة دينار ذهبي لشراء العقار في القدس والحرمين الشريفين وتحبيسه على المنقطعين والمتبتلين والمرابطين.

ولا ننسى كذلك أن الأميرة المغربية مريم حظية والد السلطان أبي الحسن التي قامت بأداء مناسك حجها عام (738هـ/1338م) حيث تحدث الناس دهراً عن رحلتها، أقول هذه الأميرة نعتقد أنها زارت بيت المقدس والخليل على ما يفهم من رسالة رسمية راحت من السلطان أبي الحسن إلى الملك الناصر عاهل مصر أثبتها القلقشندي في صبحه[2].

وحتى يعبر ملوك المغرب عن شديد تعلقهم بتلك الرحاب قاموا أنفسهم بانتساخ عدد من المصاحف الكبرى بخط أيديهم ليجعلوها في خزائن تلك العتبات المقدسة تذكيرا بأهمية التربة واعترافا بفضلها.

---

(1) المقريزي : الذهب المسبوك، ص 30. رحلة ابن بطوطة ج I، 272 ، تعليق 198.

(2) الصبح، ج 8 ص 99-103. التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، ج 7 ص 211.

الحسن علي بن عثمان عام (738هـ/1338م) حيث نراه يخصص ستة عشر ألفا وخمسمائة دينار ذهبي لشراء العقار في القدس والحرمين الشريفين وتحبيسه على المنقطعين والمتبتلين والمرابطين.

ولا ننسى كذلك أن الأميرة المغربية مريم حظية والد السلطان أبي الحسن التي قامت بأداء مناسك حجها عام (738هـ/1338م) حيث تحدث الناس دهراً عن رحلتها، أقول هذه الأميرة نعتقد أنها زارت بيت المقدس والخليل على ما يفهم من رسالة رسمية راحت من السلطان أبي الحسن إلى الملك الناصر عاهل مصر أثبتها القلقشندي في صبحه[2].

وحتى يعبر ملوك المغرب عن شديد تعلقهم بتلك الرحاب قاموا أنفسهم بانتساخ عدد من المصاحف الكبرى بخط أيديهم ليجعلوها في خزائن تلك العتبات المقدسة تذكيرا بأهمية التربة واعترافا بفضلها.

وهكذا فكما كان الشأن في مصحف مكة عام (738 هـ/1338م) ومصحف المدينة عام (740 هـ/1340م) فقد قام السلطان أبو الحسن عام (745هـ/1345م) بانتساخ المصحف بيده آية آية، كلمة كلمة، حرفا حرفا، وجمع الوراقين لتنميقه وتذهيبه كما أحضر القراء لضبطه وتهذيبه ووضع له ظرفا من الأبنوس والعاج والصندل مغشى بصفائح الذهب ومغلفا من فوق برقاع الحرير والديباج[1] وأهداه لبيت المقدس.



(1) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تحقيق د. ماريا خيسوس بيغرا. الجزائر (1401هـ/1981م) ص 474.

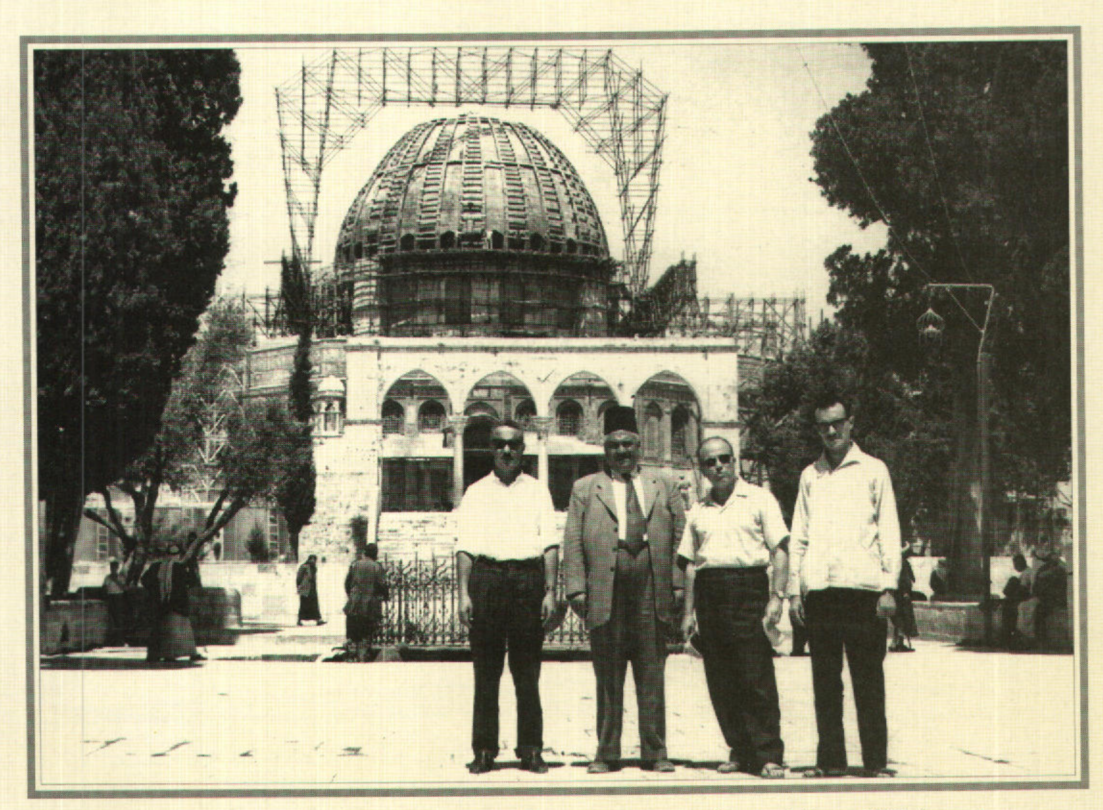
(2) المقري : النفح، بيروت، ج 4، 400.

(3) أذكر أنه جرى حديث مع جلالة الملك حسين آنذاك، وكان في عنفوان شبابه، عن انطباعنا عن الزيارة التي يسرها لنا الوزير الشنقيطي رحمه الله، صحبة الزميلين محمد مشبال وإبراهيم حركات، وكنا نشارك مع الزميل محمد بن المفتي في المؤتمر الثقافي الرابع المنظم بإشراف جامعة الدول العربية بدمشق (5 - 16 شتنبر 1959م).

وقد ذكر المقري صاحب النفح أنه رأى المصحف الذي ببيت المقدس ورأى ربعته (يعني صندوقه) وهو في غاية الصنعة[2].

وقد استمر هذا المصحف ببيت المقدس إلى السنين الأخيرة حيث سعدت بالوقوف عليه بالمتحف الإسلامي يوم الأربعاء (28 صفر الخير 1371هـ الموافق لـ 2 شتنبر عام 1959م) عندما زرت المملكة الأردنية لأول مرة[3] ...

وقد جاءت في آخر أجزاء المصحف هذه العبارة :



في زيارة للقدس الشريف أول شتنبر 1959 وأعمال العمارة الهاشمية على قدم وساق
(عن جريدة "فلسطين" 3 شتنبر 1959م)

(1) ابن مرزوق : المسند الصحيح الحسن، ص 477-478.

ولعل ضيق وقت ابن عثمان وزحمة انشغالاته بالزيارات حالت دون البحث عن تلك الآثار المغربية على نحو ما فعله الشيخ أحمد المقري صاحب نفح الطيب، بل وحالت ظروفه كذلك من ذكر المصاحف التي بعثها إلى ثالث الحرمين العاهل المغربي السلطان مولاي عبد اللّه والد الملك محمد الثالث الذي بعث ابن عثمان إلى تلك الديار على ما نقرأه عند الزياني في كتابه (الروضة المقصودة).

وبعد أن استروح ابن عثمان بالالتفات قليلا إلى مجالس الأدب والشعر ثم ميدان التصوف والأخذ بالطريقة الخلوتية ... استمر في ذكر بعض من اجتمع بهم على نهج ما فعله الرحالة قبله من أمثال المقري والعياشي، وهكذا يذكر الشيخ الأديب مصطفى بن الشيخ أبي سعود ... وهنا يتجول مع طائفة من الأشعار في تجنيس القوافي مما ذكّرنا في شعر أورده ابن بطوطة لجمال الدين المغربي الغرناطي.

وسلاطينهم سل الطـين عنهـم   فالرؤوس العظام صارت عظاما !

وبعد أن يكتب بعض السطور تنويها بسكان بيت المقدس وأخلاقهم وأريحتهم ومؤانستهم للغريب وحبهم لأهل العلم وعنايتهم بالضيف، بعد ذلك يتعرض لأمر هام لم يستطع أن يحمي نفسه من ذكره على عادة من سبقه أو واكبه ممن مروا بالأراضي التي أصبحت تحت العثمانيين كما نعلم منذ عام (922هـ/1517م) على يد سليم الأول خادم الأماكن المقدسة.

لقد كان يشعر أن بعض الجهات من الدولة تعيش ظروفا صعبة مع الولاة الذين نصبتهم الدولة في تلك الجهات، وهكذا فعلاوة على ما حكاه عن بعض الولاة من أنهم قليلو الطاعة لوزرائهم مثل ما قرأناه عن والي مدينة عكة أحمد الجزاز باشا وما قرأناه عن صاحب القلعة، علاوة على ذلك نقرأ أن ابن عثمان وهو بقرية (سان جيل) يلاحظ أن أهل القرية كثيرو التشكي من الوزراءَ والولاة، فإنهم أي هؤلاء الوزراء والولاة أكلوا اللحم، ونهشوا العظم، واستفوا المخ ! على حد تعبير ابن عثمان الذي لم يكتف بنقل هذه المعلومة عن (سان جيل) وحدها ولكنه يعمم هذا الحكم قائلا : وهذه سيرتهم في جميع الإيالة فكل من مررنا به يشتكي من جورهم !!.

ويذكر ابن عثمان أن هذه الشكوى بلغت درجة إلى حد أن بعضهم سأله عما تتقاضاه الحكومة في المغرب من ضرائب، فأجاب : الزكاة والأعشار، فسألوا عما يعني بالأعشار فقال لهم : يأخذ ربّ الزرع تسعة أعشار زرعه بينما تاخذ الحكومة عشر ذلك ... ولَشد ما أخذه العجب وهو يسمعهم يقولون له : يا ليتنا لو تركوا لنا العشر وأخذوا تسعة أعشار !!.

ومهما يكن في هذه الشهادة من مبالغة فإن ابن عثمان لم يكن له غرض يدعوه إلى تسجيل مثل هذه الملاحظة المريرة التي أتبعها بتعليق أكثر مرارة وأقوى دلالة. وهو أن أولئك الوزراء الأتراك يسندون أمر استلام تلك المبالغ إلى النصارى وخدامهم فتجد النصراني

يلتزم للوزير بخراج القرية ثم يتولى هو قبض ذلك من المسلمين في مهانة والأمر لله - يقول ابن عثمان.

والعجب أن انشغال ابن عثمان بهذه الظاهرة لم تفارقه حتى عندما كان في قبرص ولاحظ أنها أي الجزيرة **خفيفة العمارة** معللا ذلك بأن جور الحكام كان وراء ذلك النقص، لأن الذي يتصرف في الجزيرة هو الوزير الأعظم في الدولة العثمانية، وهي معينة لمنصب الوزارة فكل من يتولى الوزارة يتصرف في هذه الجزيرة ويأخذ خراجها مقطوعة من السلطان لمن يتولى ذلك.

لقد وضع ابن عثمان أصبعه على أصل البلاء؛ إن كل الوظائف الإدارية كانت تباع وتشتري في عاصمة السلطنة فالوزير والوالي والقاضي كان يدفع ثمن وظيفته سلفاً لمن يسلمها له، وهو بدوره يبتز أموال الناس لاسترداد ما أنفق أولاً ولإغناء نفسه ثانياً ! ومن شأن هذا أن يفقر البلاد من الزراع والتجار والمهنيين، وزاد الحالة سوءا اختلال الأمن العام وصعوبة المواصلات وتعرض القوافل التجارية وحتى قوافل الحجاج للنهب، واغتنام بعض الزعماء فرصة ضعف الدولة بالتمرد عليها وقد ظهر هذا الضعف واضحا أواخر القرن الحادي عشر الهجري - القرن الثامن عشر الميلادي بانكسار الدولة في حروب اضطرت إلى دخولها مع روسيا والنمسا[1].

وأخيراً نذكر أننا حاولنا أن نقوم بمقارنات ومفارقات بين عمل ابن عثمان وبين عملين اثنين قام بهما اثنان من الرحالة :

أولاً : الرحالة التركي أوليا جلبي الذي زار مدينتي القدس والخليل في سنة (1081هـ/ 1671م) ووصف معالم المدينتين وصفاً دقيقاً مطولاً وخاصة المقامين الشريفين فيهما، وأهم ما جاء في رحلته يطابق ما جاء به ابن عثمان من حيث حالة الأمن في المنطقة، وهكذا قرأنا عند جلبي أنه وجد الطرق في بعض الجهات غير مامونه فعندما أراد زيارة الخليل أرسل معه أمير اللواء عشرين فارساً مسلحاً.

ونفس هذا ما نقرأه عند الرحالة ابن عثمان، وقبله عند الرحالة أبي سالم العياشي فقد كنا نقرأ حديث الأول والثاني عن بعض المزارات التي كان يتعذر الوصول إليها بسبب انعدام الأمن بل كنا نقرأ أن بعض الولاة يعترفون بأنهم لا يملكون القدرة على توصيل هذا الزائر أو ذاك.

---

(1) لقد مثلت أمامي كل تلك الشهادات وأنا أقرأ دراسة ظهرت في السنين الأخيرة عن عرب أمريكا اللاتينية ... وأسباب تفكيرهم في مغادرة أوطانهم إلى تلك الجهات النائية، فقد كان من بينهم من لم يتردد في القول بأن أجدادهم - وقد وجدوا أنفسهم أمام قهر الولاة وتعسفهم - اضطروا للبحث عن ملاذ يلجأون إليه خارج الأوطان !! ولقد كنت أقارن حالة هؤلاء بحالة الموريسكوس الذين توزعوا في مختلف جهات العالم فرارا من الجحيم ... د. عبد الواحد أكمير : الهجرة العربية إلى الأرجنتين من 1880 إلى 1980م.

وهكذا نجد أن الرحالة يلتقون عند هذه المعلومة المتعلقة بقضية الأمن في البلاد وهي بيت القصد في كل مكان[1] ...

وهناك حادثة يحكيها أبو سالم العياشي وقعت له عند رحلته من مدينة الرملة قاصدا القدس ... حيث وجد قوما من أهل تلك الجبال يأخذون الخفر من كل من مر من تلك الطريق وكانت على رؤوس أصحابنا مظـلات من الدوم (على شكل قبعاة) كانوا يتقون بها من حر الشمس فلما رآهم أولئك القوم صاحوا بهم من أعلى الجبل باللعن والشتم فسألوا المكاري : عما يقوله أولئك. فاستحيا من إخبارهم، فلما ألحوا عليه أجابهم بأن القوم ظنوكم نصارى.

ثانياً الرحالة الفرنسي الكونت دو فولني De Volney الذي زار القدس عام (1873م) أي بعد نحو من قرن على زيارة ابن عثمان.

فهنا سنلاحظ أن كل ما حكاه ابن عثمان من أعمال عمرانية وحضارية للدولة العثمانية تتحول بين عشية وضحاها إلى خراب يباب ! فليس هناك الحرم الشريف، وليس هناك كنيسة القيامة ولا ندري أي أساس اعتمده الرحالة الفرنسي عندما ذكر أن سكان القدس لا يتجاوزن اثني عشر أو أربعة عشر ألفاً وإن المدينة كانت خراباً يباباً ![2].

* * *

وبعد فهذه جولة في بعض ما كتبه الرحالة المغاربة عن القدس والخليل قصدنا بالتذكير بها الإسهام في **إعداد موسوعة** لمدينة القدس والخليل تستقطب سائر ما كتبه الناس عن المدينتين من سائر الملل والنحل ومن سائر الجهات والأمكنة التي تنتمي إلى أبينا إبراهيم.

ونعتقد أن إعداد مثل هذه **الموسوعة** يجب أن يكون نتيجة لفكر مشترك وجهد متضافر من أجل تحسيس المجتمعات بأهمية هذا الموضوع وخاصة إذا اعتمدت هذه الموسوعة في كتابتها على الجوانب البناءة والإيجابية، وقصدت إلى البحث عن الجسور التي تربط بين العناصر المتساكنة والبحث كذلك عن الطرق المتعددة التي كانت تؤدي جميعها إلى مدينة القدس والخليل[3].

* * *

ويبقى قبل أن نتصفَّح مذكرات ابن عثمان التي كتبها، كما عرفنا، عام 1202هـ/1788م أن نستعرض باختصار ما حرَّره في مذكراته ضمن رحلته "البدر السافر..." بمناسبة سفارته عام 1196هـ/1782م **لمالطة** عندما تحدث عن السبب الذي كان وراء إنشاء الجمعية التي

---

(1) ملخص عن (سياحة نامه سي) لأوليا جلبي، كما جاء في تاريخ القدس لعارف العارف، ص 267 – 269 ...

(2) Constantine François, Comte de Volney : Voyage en Egypte et en Syrio

(3) د. التازي : طريق الإيمان، بحوث الندوة العالمية حول القدس، ايسيسكو 1415هـ/ 1995م ، الميثاق الوطني (الرباط) 23 نونبر 1995م.

حملت في التاريخ اسم "فرسان مالطة" أو "فرسان سان جان أورشليم"، عندما كانت القدس تحت الإدارة الإسلامية وقبل سقوطها، حيث تطوّع بعض التجار الفرنسيين في مصر بإنشاء **مستشفى** بأورشليم يأوي إليه المرضى والضعفاء من الحجاج. فأتوا إلى القدس واستأذنوا أميره المسلم الذي استجاب للطلب...

ومن هنا عُرفت جمعية **"الأسبّتارية"** التي أنشأها جيرار تنك (Gérard Tenque).

وقد شاع خبر ذلك "المأوى" في جميع البلدان وتهافت عليه المنقطعون والمريدون.

ولما كثر عددهم بعد سقوط القدس في يد اللاتين (شعبان 492 هـ/يوليوز 1099م) **تاقت نفس أمير القدس** أموري الأول (Amaury I) إلى الغارة على مصر عام 564 هـ/1162م أيام الخليفة الفاطمي العاضد بالله، لكن المغيرين لقوا مقاومة ضاريةً من أصحاب البلاد وتجشموا خسائر فادحة، ولم ينج منهم إلا **ستون** راهباً التجأوا إلى القدس - يقول ابن عثمان حيث تعهّدوا - بالاقتصار على العبادة وكتبوا بذلك لملك فرنسا طالبين منه التوسل لدى الحكام المسلمين الذين تجاوزوا عنهم بالفعل حيث تمكّن "الأسبّتارية" من تشييد كنيسة عظيمة حملت اسم **سان جان بابتيسط** (Baptiste) الراهب القديم على عهد السيّد المسيح.

وقد عظم شأن هذه الكنيسة وكثرت مداخلها وأوقافها حتى لأنشأت لها أسطولاً بحرياً !!

ولم يؤثر فتح صلاح الدّين لبيت المقدس عام 583 هـ/1187م على نشاط "الأسبّتارية" الذي كانوا يستفيدون من تسامح المسلمين... لكن الأمر تطور - بعد وفاة السلطان صلاح الدّين - إلى حد تأثير هذه الجماعة على أمير القدس المسلم حتى يعلن انفصاله عن السلطة المركزية، واعدين إياه بالوقوف إلى جانبه، الأمر الذي أسلم المنطقة إلى سلسلة من القلاقل تفسرها الحروب التي دارت رحاها بين الملك الكامل صاحب مصر والملك الناصر صاحب دمشق والتي انتهت باتفاقية 626هـ/1229م مع الأمبراطور فريديريك الذي تسلم مفتاح مدينة القدس !!.

وبعد **سقوط عكة** في يد المسلمين عام 690 هـ/1291م انتقلت جماعة "الأسبّتارية" إلى قبرص، ثم تحولت إلى جزيرة **رودس** عام 709هـ/1309م حيث ظلوا يقومون بنشاطهم المعادي للمسلمين إلى عام 908 هـ/1522م عندما أجلاهم السلطان سليمان القانوني عن الجزيرة المذكورة فتطارحوا على الأمبراطور الإسباني شارل الخامس الذي مكنهم من موقعٍ في مالطة عام 936هـ/1530م ولم يلبثوا أن استولوا على جميع الجزيرة التي كانوا يوجهون منها ضرباتهم للأسطول العثماني مستعينين من الناحية الديبلوماسية بالعاهل الفرنسي الذي كان يتصل بالباب العالي حتى يترك للهيئة المذكورة مجالاً للنشاط الحر في بيت المقدس، الأمر الذي تمكنت معه الهيئة أحياناً من **التأثير على أمير القدس** مرة أخرى حتى يعلن انفصاله عن الباب العالي !!.

وقد لاحظنا أثر نشاط تلك الاتصالات من خلال **الاتفاقيات المبرمة** بين الخليفة العثماني وبين العاهل الفرنسي، على ما تؤيده المصادر التاريخية العثمانية - الفرنسية والأوربية التي كانت تتحدّث عن وقوف العثمانيين كتفاً لكتف مع الفرنسيين[1] .

---

(1) ابن عثمان : البدر السافر في افتكاك المسلمين من يد العدو الكافر، مخطوط معد للطبع بتحقيق د. عبد الهادي التازي.

النص الكامل لرحلة ابن عثمان إلى القدس والخليل 1202هـ/1788م

... وأقمنا بعكة تسعة أيام حتى عينا المركب الذي يحملنا في البحر، وتعاقدنا مع صاحبه[1] وعينا المدة للسفر وانشغل رئيسه بإصلاح شؤونه والاستعداد للسفر.

وتوجهنا في خلال هذه المدة لزيارة القدس الشريف والتبرك بمشاهدة المسجد الأقصى وبمن هنالك من الأنبياء على نبينا وعليهم الصلاة والسلام فكان مبيتنا يوم خروجنا من عكة عند عرب أهل بيوت شعر بقرب تربة ولي مشهور في تلك النواحي يقال له الشيخ إبراهيم الزعبي على **ست ساعات** من عكة فرحنا إليهم والسماء تجودنا، فما كان إلا أن رأونا وأدخلونا خيمة من أكبر خيامهم وفرحوا بنا وسلكوا معنا مسلك أهل الحاضرة وباتوا يحرسون الخيمة التي نزلنا فيها إلى الصبح جزاهم الله خيرا.

ومن الغد سافرنا فرحنا إلى **قلعة سَنُور**[2] وصلناها على سبع ساعات فأكرم مثوانا صاحب القلعة وأحسن نزولنا وأتى بطعام كثير وفراش متكلف، ولم يترك شيئا من الحضرية في طعامه ولا في شرابه.

وهذه القلعة حصينة وقد وجدنا جماعة معلّقين عُدتهم[3] ببابها فلما دخلنا الباب أخذوا العدة من أيدي رفاقنا وأصحابنا لأنهم لا يتركون أحدا يدخل بالعدة إلى هذه القلعة، ومن الغد عند خروجنا ردوا العدة لأصحابنا.

وهذا الرجل صاحب القلعة تحت نظر **وزير الشام**، مولّى عمل هذه الناحية على يده، لكنه غير كامل الطاعة والانقياد، فهو يميل إلى الاستقلال والاستبداد منفذا لأوامر أميره لكنه لا يتلاقى معه خوفا على نفسه، والوزير أيضا لا يقدر على نزعه فهو قانع بما يأتي منه فإذا أتى الوزير إلى ناحية بلاده يخرج منها إلى ناحية أخرى حتى يرجع الوزير ويرجع !.

ومن الغد سافرنا من هذه القلعة فوصلنا إلى بلدة **نابلس**، وهي بلدة متوسطة بين جبال مرءاها حسن وبناؤها كله بالحجارة المنحوتة، حسن المنظر، وماؤها كثير ذات بساتين إلا

---

(1) ورد في مخطوطة لابن سلمون عدد من نماذج عقد السفن، وهي آية في الدقة والاحتياط والمحافظة على مصالح الأطراف المتعاقدة، مخطوط عربي رقم 5 (Madrid C.I.S.C).

(2) هكذا رسمها ابن عثمان، ويفيد الزميل إبراهيم الزقرطي من المركز الجغرافي الملكي الأردني أن الصواب صانور، وهي قلعة بناها الشيخ محمد جرار في النصف الثاني من القرن الثامن عشر، أي إنها كانت حديثة عهد بالبناء لما زارها ابن عثمان، وقد هدمها عبد الله باشا والي صيدا والقدس عام 1830–31. وتعتبر معلومات ابن عثمان عنها مؤكدة لإفادة الزميل المذكور.

(3) العدة : تعني السلاح، أي واضعين أسلحتهم بالباب.

باب الرحمة والتوبة والرابع باب حطة بجهة الشمال

وهو الذي امر الله تعالى بني اسرائيل ان يدخلوه سجدا ويقولوا حطة

فبدلوا وخالفوا امر ربهم لعنهم الله والخامس باب شرف الانبياء

بجهة الشمال ايضا ويروى انه الذي دخل منه عمر بن الخطاب رضي

الله عنه يوم الفتح والسادس باب الدوادارية والسابع

باب الناظر وقد جددت عمارته في زمن الملك المعظم عيسى بن ايوب

في حدود الستمائة ويعرف قديما بباب ميكائيل والثامن باب الحديد

والتاسع باب القطانين ومنه يخرج الى سوق القطانين والعاشر

والحادي عشر باب السلسلة وباب السكينة ومنها مقدار وباب

المغاربة يسمى بذلك لمجاورته لباب جامع المغاربة الذي تقام فيه الصلاة

اولا لانه يلتقي الى حارة المغاربة وهذا الباب في داخل الجهة الغربية

من المسجد مما يلي القبلة ويسمى باب النبي صلى الله عليه وسلم وزرنا

ايضا في هذا الحرم الموضع الذي فيه محراب سيدنا زكرياء وفيه ايضا

مهد عيسى عليه السلام ومن المحراب زرنا فيه في ارض ونعرف بالمنجد

تبركا بصاحبه واشترينا من هذا المكان على البعض الاحمر عليه المسجد

المتصل كله بسور محمول على اعمدة من الحجارة العظيمة من بناء الجان على

عهد نبي الله سليمان عليه السلام فيذكر بعض المؤرخين من اهل

الحرم ان عدة الاعمدة التي تحت الارض المحمول عليها المسجد المتصل

رحلة ابن عثمان إلى القدس والخليل، المخطوطة توجد بالخزانة الحسنية بالقصر الملكي بالرباط.
إحراز المعلى والرقيب في حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والخليل والتبرك بقبر الحبيب.
الحديث عن حارة المغاربة المخطوطة رقم : 12307

أن أزقتها كثيرة العفونات، والطريق إليها من القلعة المتقدمة في صعود وهبوط وحجارة فوصلناها على **أربع ساعات ونصف**، فنزلنا بها على شيخ القلعة المذكورة، والقلعة كنا وجدنا بها ولده فله تصرف في هذه البلدة أيضاً فبتنا عنده، ومن الغد **عين فارسا** يصحبنا في الطريق إلى القدس.

ولما خرجنا من نابلس أرونا عن يسار الخارج قبباً يقال إنها مدافن أولاد يعقوب عليه السلام فتبركنا بزيارتهم وقرأنا عليهم الفاتحة، وتمادينا على المسير في أرض كثيرة الحجارة، ولا سيما في موضع يقال له **خان اللبان**[1] وأمامه وادي التين، وهو منخفض من الأرض بين جبال، وتلك الجبال كلها مغروسة بالتين إلا أنه صعب من كثرة الحجارة **لكن من عرف ما قصد هان عليه ما وجد**، فكان مبيتنا بقرية يقال لها **البيرة**[2] على **عشر ساعات**.

ومن الغد سافرنا منها فوصلنا **القدس الشريف** على ساعتين ونصف، وقبل وصولنا بنحو ساعة قابلنا النبي شمويل بن يعقوب عن يمين المار إلى القدس على ربوة، عليه بناء، فقرأنا الفاتحة عند مواجهته ودعونا الله هنالك. وهذه البلاد كثيرة الحجارة كما تقدم ...

وللقدس السور الحصين، مبني بالحجارة في غاية الكمال والإتقان والأبواب الحصينة الغلق، فعدد **أبوابه ستة** : الأول ومنه دخلنا باب العمود والثاني باب الساهرة[3]، والثالث باب الأسباط والرابع باب المغاربة، والخامس باب النبي داوود والسادس باب الخليل، فدخلنا إليه ونزلنا ببيت يقال : إنه بيت الشيخ أبي مدين الغوث دفين تلمسان، وعليه وكيل **وله أوقاف**[4] ، فكان أول ما بدأنا به أن توضأنا وتوجهنا إلى المسجد الأقصى فدخلنا أولا إلى قبة الصخرة، وقد صعدنا إلى المكان الذي فيه الصخرة بمدارج نحو العشرين، وهو بلاط واسع جداً في وسط مسور المسجد وفي وسط هذا البلاط قبة الصخرة المباركة وهي **مثمنة الدائرة**، لها أربعة أبواب عظام مجلّدين (مغلّفين) بالصفر، وفي داخل هذه القبة قبة أخرى مرفوعة على أعمدة الرخام دائرة بالصخرة وبين الأعمدة شبابيك من الصفر في علو نحو قامتين لها أربعة أبواب من نفس الشبابيك فدخلنا من الشباك المذكور فألفينا الصخرة محيطا بها شباك من خشب علوه أقل من القامة فأشرفنا منه على الصخرة ولمسناها على **سبيل التبرك** من طيقان بالشباك المذكور. ووضعت أصابع يدي في أثر أصابع المَلَك حيث أقام الصخرة لما مالت بالنبي، عليه الصلاة والسلام، ليلة الإسراء، كما يأتي بيانه[5]، فعدد أعمدة القبة كلها أربعون عمودا من الرخام الفائق، منها أربعة عشر عمودا هي الدائرة

---

(1) يرسمها الزميل الزقرطي اللبن، ويقع الخان في القرية المعروفة الآن باسم اللبن الشرقية، وهو متهدم وآثاره موجودة.

(2) توجد عدة مواقع بهذا الاسم والقصد إلى البيرة المتصلة الآن ببلدة رام الله، وتقع شمال القدس.

(3) توجد بالزاي عوض السين عند ابن عثمان.

(4) إفادة ابن عثمان عن أوقاف أبي مدين صحيحة، وقد أوردت نص وثيقة الوقف في كتابي بعنوان : "أوقاف المغاربة بالقدس"، طبع سنة (1981م) ص 41، وقد تقدمت هنا صفحة 36 وما بعدها.

(5) سيأتي في نقل عن الإمام أبي بكر بن العربي في شرحه لموطأ الإمام مالك.

بالصخرة المرفوع عليها قبتها ومنها ستة عشر عمودا مرفوع عليها المسقف المحيط بقبة الصخرة وهو مسطح.

وجميع حيطان هذه القبة من داخل وخارج مكسو بالرخام المصقول الذي كأنه مرآة، **وما رأيت ببلاد الإسلام أكثر تأنقا من** صنعة هذه القبة، وفيها محراب يصلي فيه إمام الحنفية الخمس، ومن داخل القبة الأولى انحدرنا إلى سفلى الصخرة بأربع عشرة درجة فصارت الصخرة فوقنا **وقد أحاط بجوانبها بناء متصل بها وتحتها** عمود من رخام قائم تحتها متصل بها كأنه مقيم لها، وعند المدارج أيضا عمود طرفه في بعض المدارج، وطرفه الآخر متصل بها **قرب لسانها**. وهذا المكان الذي تحت الصخرة كثير الأنس يجد فيه الإنسان نشاطا وخفة وانشراحا لعبادة الله تعالى، فصلينا في محراب سيدنا سليمان عليه السلام، وهو عن يسار الخارج منها، وهو من الرخام، وصلينا أيضا ركعتين في محراب سيدنا داود عليه السلام وهو عن يمين الخارج، وقرأنا تحت الصخرة ما تيسر من القرآن، ودعونا الله هنالك بما نرجو من الله قبوله.

ثم صعدنا من المدارج التي انحدرنا منها فأرونا طرفاً من الصخرة ممتدا شيئا ما يقولون : إنه لسان الصخرة، ولا أصل له، وإنما ذلك من موضوعات المزوّرين !! ومكتوب في دائرة قبة الصخرة من خارج سوره بدائرة السطح المحيط بها سورة يس إلى ياكلون[1] .

وعبارة بعض المؤرخين[2] : وأما الصخرة فهي في وسط المسجد على صحن كبير مرتفع عن أرض المسجد الأقصى الشريف، وارتفاع القبة التي على الصحن إحدى وخمسون ذراعا بذراع العمل، وهو مقدار **ذراع وربع بذراع الإنسان**[3]، على ما قال لي بعض المزورين والعهدة عليه، وهذا الارتفاع من فوق الصحن، وأما علو الصحن عن أرض المسجد فسبعة أذرع فيكون ارتفاع القبة عن أرض المسجد ثمانية وخمسين ذراعا.

وأما جامع المسجد الأقصى الذي يصلي فيه إمام الشافعية، وهو المسقف من الأقصى، وصار اليوم اسم الأقصى علما عليه بالغلبة **فعرضه من المحراب** إلى الباب مائتان وخمسون قدما، **وطوله** خمسة وخمسون وأربعمائة قدم، هذا مما يلي صدر المسجد في بلاط المحراب وما يليه وفيما دون ذلك أقل.

ومحرابه في غاية الحسن وهو الذي يقال : إن المهدي يصلي فيه وينزل عيسى عليه السلام فيجده قائماً يصلي بالناس فيقتدي به.

وهو مكسو بأنواع من الرخام، عرض الواحدة أقل من شبر، وعددها سبعة عشر لوحاً، ثمانية بيض وأربعة حمر، وثلاثة إلى السواد أميل، واثنان إلى الخضرة أميل.

---

(1) يعني من الآية الأولى إلى الآية 33 من سورة يس.

(2) القصد إلى الحنبلي في كتابه الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، ج 2 ص 16 ، طبعة النجف (1968م).

(3) القصد بذراع العمل : الذي تذرع به الأبنية، وهو ما يعبر عنه أحيانا بذراع الملك، سفر نامه 69.

وفيه أمر يحكيه أهل الحرم، فإن قصد بحسن، وإن كان اتفاقيا فغريب، يقولون : أما الثمانية الألواح البيض إشارة إلى ثمان ركعات صلاة الظهر والعصر، والأربعة الحمر إشارة إلى صلاة العشاء، بعد حمرة الشفق، والثلاثة التي تميل إلى السواد إشارة إلى صلاة المغرب إذا أقبل الليل، والاثنان الخضراوان إشارة إلى صلاة الصبح[1].

وقد صلينا في هذا المحراب على سبيل التبرك، وأمام المحراب قبة عظيمة مزينة بالفصوص الملونة كاملة الزينة مكتوب في دائرتها : **بسم الله الرحمن الرحيم جددت هذه القبة المباركة في أيام السلطان الملك الناصر العالم العادل المجاهد المرابط المثاغر المريد المنصور قاهر الخوارج المتمردين محيي العدل في العالمين سلطان الإسلام محمد بن السلطان الشهيد الملك المنصور قلاون الصالحي تغمده الله برحمته في شهور سنة ثمان وعشرين وسبعمائة**[2].

ومكتوب فوق المحراب : بسم الله الرحمن الرحيم **أمر بتجديد هذا المحراب** المقدس، وعمارة المسجد الأقصى الذي هو على التقوى مؤسس، **عبد الله بن يوسف بن أيوب أبو المظفر الملك الناصر** صلاح الدنيا والدين عندما فتحه الله تعالى على يديه في شهور سنة **ثلاث وثمانين وخمسمائة** وهو يسأل الله إيزاعه شكر هذه النعمة واجزاه حظه من المغفرة والرحمة. وبه منبر من **العود المنتخب** في غاية ما يكون من الصنائع الفائقة والنقوش الرائقة، صنعه نور الدين الشهيد صاحب دمشق الشام المتقدم الذكر[3].

وله أي للأقصى المسقف من الأبواب أحد عشر بابا، سبعة في صف واحد في مقابلة الصخرة، أوسطها هو الباب الكبير المقابل للمحراب، وأمام هذه الأبواب بلاط مسقف وأربعة أبواب في جانبه.

وفي **الجهة الغربية** من الصحن عدة مدارس، وبقربها متصلا بها مسجد، وهو بلاط واحد كبير طويل جدا يقال له البقعة **البيضاء**، وبه يصلي إمام **المالكية** قرب **مربط البراق** ويقولون : إن النبي ﷺ صلى به، وبقربه زاوية لسيدي "عبد القادر الجيلاني"[4]، وبها حجرة شيخنا أبي السعود نفعنا الله ببركاته[5] وهو القائم عليها. **وطول جميع** سور المسجد

---

(1) هذه الحكاية تشبه التفسير الذي أعطي لعدد التفاحات التي تكون في جامور الصومعة، راجع د. التازي : **المسجد في المأثور** الإسلامي - كتاب "مسجد الحسن الثاني بالدار البيضاء" ص 323 - ط. 1993.

(2) هكذا عند ابن عثمان والصواب ما عند البلوي (718هـ/1318م) هذا وإذا كان ابن بطوطة قد فاته ذكر هذه المنقوشات التي توجد على محراب المسجد الأقصى، فإن البلوي ومحمد بن عثمان سفير المغرب إلى تركيا، سجلا ما كان منقوشاً على بعض جهات المسجد ... أنظر رحلة ابن بطوطة، تقديم وتحقيق د. التازي - ج I ص 121 - تعليق 18 (1417هـ/1997م).

(3) محمود بن زنكي، أعدل ملوك زمانه وأجلهم وأفضلهم. له ترجمة حافلة، كان يتمنى أن يموت شهيدا فنعتوه بذلك، ت (569 هـ/ 1174م).

(4) مؤسس الطريقة القادرية، انتقل من جيلان إلى بغداد وتصدر\للتدريس (ت. 561 هـ/1161م).

(5) يظهر أن القصد إلى الشيخ أبي السعود الدقاق، المغربي الأصل الذي كان له ذكر ضمن الشهود الذين يقفون وراء بعض الأحكام التي تصدر عن المجلس الشرعي بالقدس الشريف على نحو ما نرى في الوثيقة المؤرخة في ربيع الأول 1136هـ والتي شهد فيها إلى جانبه الشيخ الخالدي والبديري. د.أحمد العلمي : **وقفيات المغاربة**، دائرة الأوقاف العامة، عمان 1981م.

الأقصى من المسقف والصخرة وغير ذلك سبعمائة وخمسة وثمانون ذراعا من باب الأسباط إلى محراب داود **وسوق المعرفة**. وسوق المعرفة المذكور هو مكان مسقف بين محراب داود والمحل الذي فيه محراب مريم ومهد عيسى عليهما السلام، ولم أقف على معنى هذا الاسم، والمزوّرون يقولون : إن أرواح الصالحين تتعارف هنالك، ولا يعتمد عليهم في شيء من ذلك لأن غرضهم معلوم[1].

وعرضه أربعمائة، وله أحد عشر باباً فأولها وثانيها بابان متحدان في السور الشرقي الذي يرى بعض المفسرين أن الله تعالى فيه قال : ﴿ **فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب** ﴾، فإن الوادي الذي وراءه يقال له وادي جهنم ومتصلاً به **مقبرة اليهود**[2]، وهذان البابان من داخل الحائط مما يلي المسجد أحدهما باب الرحمة والآخر باب التوبة.

ويحكى أنه كان في بني إسرائيل إذا أذنب أحدهم ذنباً يصبح مكتوبا على باب داره فيفر إلى هذا المكان فيتوب ويخرج من باب التوبة ويدخل من باب الرحمة، فإن تاب الله عليه تمحى الكتابة وإلا تبقى هناك ولا يستطيع أحد أن يكلمه ولو كان أدنى الناس إليه[3]. والذي ذكره الحنبلي صاحب "تاريخ الأنس الجليل في القدس والخليل" أن المكان الذي كانت تقصده بنو إسرائيل عند ذنوبها هو محراب داود[4].

والثالث **باب الأسباط** نسبة لأسباط بني إسرائيل وهم : يوسف وروبيل، وشمعون، ويهودا، وهو قريب من باب الرحمة والتوبة.

والرابع باب حطة في جهة الشمال وهو الذي أمر الله تعالى بني إسرائيل أن يدخلوا منه سجداً ويقولوا : **حطة**، فبدلوا وخالفوا ما أمروا به لعنهم الله، والخامس باب شرق الأنبياء في جهة الشمال أيضاً ويروون أنه الذي دخل منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الفتح.

والسادس **باب الغوانمة**[5]. والسابع **باب الناظر** وقد جددت عمارته في زمن الملك المعظم عيسى من بني أيوب في حدود الستمائة ويعرف قديما بباب ميكائيل. والثامن **باب الحديد**.

والتاسع باب **القطانين** ومنه يخرج إلى سوق القطانين[6]. والعاشر والحادي عشر **باب السلسلة وباب السكينة**، وهما متحدان، وباب المغاربة، سمي بذلك لمجاورته **لباب**

---

(1) بمثل هذا الكلام علق الحنبلي في الأنس الجليل ج II ص 5.

(2) في إحصاء لليهود بالقدس (عام 980 هـ) يقول سجل المحكمة الشرعية إن عددهم مائة وخمسة عشر.

(3) الأنس الجليل II، 30.

(4) الأنس الجليل I، 256.

(5) سمي كذلك لأنه ينتهي إلى حارة بني غانم. الأنس الجليل II، 30.

(6) يذكر الحنبلي أنه مكتوب عليه : إن السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون جدد عمارته في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة، فدل ذلك على أنه كان قديماً. ج II 30-31.

جامع المغاربة الذي تقام فيه الصلاة، ولأنه ينتهي إلى **حارة المغاربة**[1]، وهذا الباب في آخر الجهة الغربية من المسجد مما يلي القبلة، ويسمى باب النبي ﷺ .

وزرنا أيضاً في هذا الحرم الموضع الذي فيه محراب سيدتنا مريم، وفيه أيضاً مهد عيسى عليه السلام، وقد انحدرنا إليه بمدارج، **وقعدت** في المهد تبركاً بصاحبه، وأشرفنا من هذا المكان على **الفضاء المحمول عليه** المسجد الأقصى كله فهو محمول على أعمدة من الحجارة العظيمة من بناء الجانّ على عهد نبي اللّه سليمان عليه السلام، فذكر لي بعض المزورين من أهل الحرم أن عدد الأعمدة التي تحت الأرض المحمول عليها المسجد الأقصى **ثلاثة آلاف قائمة** والعهدة عليه[2]، **وكلها تحت الأرض** وقد رأينا بعضها من طاق من مهد عيسى عليه السلام، فهي في غاية الضخامة، العمود فيه ثلاث قطع من الحجارة العظيمة.

وزرنا أيضاً بهذا الحرم تربة **سليمان** عليه السلام وهي موضع كرسيه، وقيل الصحيح أنه مدفون مع والده في الجسمانية[3] موضع خارج سور المسجد من جهة الشرق، وجزم بعض العلماء بأن سيدنا داود مدفون بصهيون موضع خارج سور المدينة من جهة القبلة وهو الآن مقامه، مشهور في غاية الجلالة يزوره الخاص والعام لاغتنام المدد والجمال، وقيل غير ذلك.

وزرنا المكان الذي كان يحكم فيه نبي اللّه داود عليه السلام وهو أمام قبة الصخرة تحت قبة **السلسلة** مكتوب فوق محراب هذه القبة : يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق الآية. وذلك أن هذه **السلسلة** أدليت من السماء في أيام داود عليه السلام عند الصخرة التي في وسط بيت المقدس فكان الناس يتحاكمون عندها فمن مد يده إليها وهو صادق نالها، ومن كان كاذباً لم ينلها إلى أن ظهرت فيهم **الخديعة**، وذلك أن رجلاً أودع رجلاً جوهرة فخبأها في عكازه وطلبها المودع فجحد، فتحاكما، فقال المدعي : إن كنت صادقاً فلتدن مني السلسلة فمسها، ودفع إليه المدعى عليه العكازة وقال : اللّهم إن كنت تعلم أني رددت له الجوهرة فلتدن مني السلسلة فمسها، فقال الناس : قد سوت السلسلة بين الظالم والمظلوم، فارتفعت بشؤم الخديعة وأوحى إلى داود : "**أن احكم بين الناس بالبينة واليمين**" وبقي ذلك إلى الآن[4].

وزرنا أيضاً تربة نبي اللّه داود عليه السلام وهو خارج سور البلد وقرأنا في ضريحه سورة (ص) ودعونا إليه هناك، **وتبركنا** بزيارة **مربط البراق** وصلينا هناك ركعتين، ورأينا الحلقة التي ربط فيها البراق ولكن الحلقة بدلت بغيرها وجعلت هذه تذكرة !

---

(1) د. عبد الهادي التازي : حي المغاربة بالقدس، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، العدد الثالث غشت 1972م - أوقاف المغاربة في القدس ، مطبعة فضالة 1981م. ونشرته أيضا أكاديمية المملكة المغربية ضمن أعمال ندوتها تحت عنوان : القدس تاريخيا وفكريا، ص 99 مع الترجمة إلى اللغات الأخرى، ص 22.

(2) نفس تعبير الزياني في الترجمانة الكبرى، تحقيق عبد الكريم الفيلالي، ص 274. نشر وزارة الأنباء 1967م. هذا وتحاول اليوم سلطات الاحتلال نبش هذه الأمكنة، الأمر الذي يثير أبناء فلسطين ومعهم سائر المؤمنين ...

(3) يرسم الجسمانية في الأنس الجليل بالياء بعد الجيم، وكتبت في مصادر أخرى : الجثمانية بالثاء المثلثة.

(4) في السلسلة يقول الشاعر : **لقد مضى الوحي ومات العلا** * **وارتفـع الجود مع السلسلة !**

ثم توجهنا لزيارة طورسينا[1] وما اشتمل عليه من أهل الثنا والسنا، فخرجت من باب الأسباط أحد أبواب القدس فزرنا أولاً قبر الصحابي الجليل عبادة بن الصامت وهو عن يسار الخارج من باب الأسباط ملاصقاً للسور، وبعده بشيء ما الصحابي الشهير شداد بن أوس قرب السور المذكور في مقبرة هنالك.

ثم انحدرنا إلى زيارة سيدتنا مريم ابنة عمران فوقفنا عند ضريحها وقرأنا لها الفاتحة ودعونا الله هنالك. **ومفتاح قبتها بيد النصارى ولا حول ولا قوة إلا بالله، جبر الله حال هذه الدولة فقد أفسدهم الطمع**[2].

وأمامها تربة الإمام الحنبلي صاحب الأنس الجليل في القدس والخليل[3]. ثم صعدنا إلى الطور فزرنا قبر الشيخ محمد العلمي من ذرية سيدنا عبد السلام بن مشيش نفعنا الله ببركاته[4]، وحذاء ضريحه مسجد وزاوية يقال لها **الأسعدية** سميت باسم بانيها **أسعد أفندي**، كان شيخ الإسلام[5].

ثم دخلنا إلى الموضع الذي رُفع فيه عيسى عليه السلام فصلينا فيه ركعتين وأرونا حجراً فيه أثر قدمه فتبركنا به ودعونا الله هنالك وقد كان أيضاً **بأيدي النصارى** فاستنقذه الله منهم على يد هذا الرجل الصالح الشيخ محمد العلمي بواسطة شيخ الإسلام المذكور، ثم توجهنا إلى زيارة تربة نبي الله عزير فدخلنا مقامه المبارك ودعونا الله هنالك.

---

(1) كذا في المخطوط، لكن القصد إلى طورزيتا - الأنس الجليل، II، 60 – 61.

(2) كلام له دلالته في عرف رجال السياسة، وخاصة من أمثال ابن عثمان الذي كان يزور هذه البقاع، في تلك الظروف التي أبرمت فيها اتفاقيات بين العثمانيين وبعض دول أوربا المسيحية، تنص على ما يمكن أن ينعت "بالتصرف التام" لتلك الدول فيما يتصل بأماكنها المقدسة، وقد وجدنا أن الإمبراطور النمساوي جوزيف الثاني ينعت نفسه بأنه إمبراطور أورشليم في الاتفاقية التي عقدها مع العاهل المغربي سيدي محمد بن عبد الله عام (1198هـ/1784م)،ابن عثمان الذي تحدث بإسهاب عن علاقة فرسان مالطة بالقدس في رحلته "البدر السافر" المتعلقة بتحرير الأسرى المسلمين الموجودين بمالطة (1196هـ/1782م). محمد فريد بك المحامي : تاريخ الدولة العلية العثمانية، بيروت 1977م، ص 163. د. التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب، مرجع سابق، ج 9، ص 213، مالطة في مذكرات ابن عثمان.

(3) هو أبو اليمن العليمي عبد الرحمن بن محمد عبد الرحمن العليمي الحنبلي **مجير الدين**، كان قاضي القضاة بالقدس، ولد وتوفي بها عام (928 هـ/1522م) والقصد بالطور طورزيتا، أنظر رحلة العياشي ج 2 ص 317.

(4) الحديث عن آل العلمي في القدس حديث طويل عريض، وهم كما يقول ابن عثمان من ذرية القطب عبد السلام بن مشيش دفين جبل العَلَم شمال المغرب، وقد نعت الشيخ محمد بن عمر هذا بالمجاهد كما نعت كذلك بالقطب، وقد كان من أبنائه عبد الصمد الذي أنجب ولدا يحمل اسم عمر، وكان عالماً جليلاً، كني بأبي حفص ويعتبر في صدر الرجال الذين أخذ عنهم الرحالة المغربي الشهير أبو سالم العياشي، وقد أثنى على علمه وشهامته وكرمه، ومدحه بقصيدة رويها الصاد، يقول في أولها :

جزى الله عنا كل خير أبا حفص   إمام الهدى مَن للكمالات ذا قنص
سليل إمام كان قطب زمانه   ومنزله في خاتم الفضل كالفص

ويترجم المحبي لأحدهم في خلاصة الأثر، هو الشيخ محمد بن عمر العلمي، المتوفى سنة 1038هـ، أي قبل 36 سنة من وصول أبي سالم. أنظر كتاب (أجدادنا في ثرى بيت المقدس) للدكتور الزميل كامل جميل العسلي، من منشورات مؤسسة آل البيت، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية، عمّان 1981م، ص 99.

(5) الزاوية الأسعدية نسبة إلى منشئها أسعد أفندي التبريزي فقيه الدولة العثمانية (خلاصة الأثر، للمحبي، ص 396) هذا ويلاحظ أن هذه الزاوية زارها قبل ابن عثمان الشيخ عبد العزيز النابلسي عام 1101هـ. أعني قبل قرن من زيارة ابن عثمان ... قال ورأينا تلك المنارة العالية وهي كالعلم فوق جبل الطور، ونزلنا إلى قبره بمدرج نحو العشر درجات وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى ... د. كامل جميل العسلي : (أجدادنا في ثرى بيت المقدس)، المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية منشورات آل البيت، المملكة الأردنية الهاشمية، عمّان 1981م، ص 99.

ومن جبل الطور يظهر بيت المقدس في غاية البهاء، والابتهاج وحسن المنظر، وكذا من جهة القبلة، وأما من جهة الغرب والشمال فلا يرى منه من بعيد إلا القليل، لموارة الجبال له، فإن بيت المقدس والخليل في جبال كثيرة الأوعار والأحجار، والسير فيها متعب، والمسافة فيها بعيدة فإن الجبال المحيطة بالبلدتين مسافتها تقريباً ثلاثة أيام طولاً ومثلها عرضاً بسير الأثقال، ولكن إذا من الله على قاصد الزيارة بالوصول إلى المسجد الشريف الأقصى وإلى المقام الشريف الخليلي يحصل له من الأنس والبهجة ما لا يكاد يوصف ويسلوا عما حصل له من المشقة والنصَب، وقد أنشد الحافظ ابن حجر عند قدومه لزيارة بيت المقدس في معنى ذلك :

إلى البيت المقدس جئت أرجو جنـــان الخلـد نـزلا من كـريـم
قـطـعـنـا فـي مـحـبـتـه عـقـابـاً وما بعد العقاب سوى النعيم[1]

ثم انحدرنا من وراء الطور فدرنا إلى صوب كليم الله ونبيه **موسى بن عمران** عليه السلام وهو بعيد من هذا المكان : قيل بنحو أربع ساعات، فحدثت نفسي بالوصول إليه فأخبرني أهل البلد أن **الطريق مخوفة**[2] فرددنا الوجهة إلى صوبه ودعونا الله هنالك. ثم تبركنا بزيارة بئر نبي الله أيوب عليه السلام الذي يروى أنه المراد بقوله تعالى : ﴿ **اركض برجلك، هذا مغتسل بارد وشراب** ﴾.

وقد أخبرني بعض الأفاضل من علماء القدس[3] - وقد توجه معنا لهذه الزيارة وهو الذي كان يدلنا على هذه الأماكن - إن هذا البئر في فصل الشتاء والأمطار يفيض ويفور بماء كثير مثل النهر، وقد رأينا مجراه يابساً، وهو محفور بجري الماء، وأشرفنا على البئر فإذا به ماء كثير لكنه بعيد، فقد رميت فيه بحجر فما وصل الماء إلا بعد حين ...

ثم مررنا بعين يقال **لها سلوان**[4] أخبرنا أهل البلد أنها تجري حيناً وتحبس، وهي خارجة من أصل جبل لا يدري لها أصل. قال الإمام الحنبلي في تاريخه الأنس الجليل : أما عين سلوان فهي بظاهر القدس الشريف من جهة القبلة بالوادي يشرف عليها سور المسجد القبلي، وقال في آخر كلامه عليها : وعن خالد بن معدان أنه قال : زمزم وعين سلوان التي بيت القدس من عيون الجنة.

ومن الغريب أنها لا تجري غالباً إلا عند أوقات الصلاة وتحبس فيما عدا ذلك. ونحن لما وصلنا إليها وجدنا ماءها منحبساً، وعند وصولنا إليها خرج ماؤها وجرى على وجه الأرض في مصاريفه فشربنا منه فإذا ماؤها أشبه **شيء بماء زمزم**، وهذا عند أهل البلد معروف، وقد أخبرونا به قبل رؤيتنا له، فلما شربناه وجدناه كما قيل.

---

(1) أورد البيتين المقري قبل ابن عثمان في نفح الطيب، ج I ص 54 طبعة بيروت 1968م.

(2) نفس ما سجله أبو سالم العياشي، ويؤيده الرحالة التركي أوليا جلبي ويتساءل عن أسباب هذا التخوف بالنسبة لقبر سيدنا موسى، عليه السلام. يلاحظ أن المقري يذكر أنه وصل مزار موسى الكليم، النفح I، 58.

(3) أي تساءل هل هو شمس الدين الكرمي الذي صحب أبا القاسم الزاياني، أنظر الترجمانة الكبرى، ص 270.

(4) الأنس الجليل 2، 57.

ويروى عن كافة أهل البلد أن رجلا هنديا شرب من ماء زمزم فسقط له قدح في البئر فغاب حقبة من الدهر وأتى إلى القدس فاستسقى ماء من بعض الضيع فناولوه الماء في قدح فأمعن النظر في القدح فإذا هو قدحه الذي سقط منه في بئر زمزم، فقال لصاحبه : من أين لك هذا القدح ؟ فقال له : اشرب وما عليك فيه، فقال : هذا القدح لي وقد سقط مني في بئر زمزم وها هو مجلّد فأنزعوا عنه الجلد فإن وجدتم تحته كذا دنانير فهو لي، فقال له : إن كان كما تقول فقد رمت به عين سلوان ورفعناه، فأخبرهم الخبر فأمسكوا القدح وعلقوه في المسجد الأقصى[1]، وقد رأيته ولا غرابة في هذا فقد ورد أن **مياه الدنيا** كلها تخرج من تحت صخرة بيت المقدس[2].

وزرنا أيضاً القبة التي عرج منها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء وهي في شمال قبة الصخرة قريبة منها وصلينا هناك ركعتين ودعونا الله بما يرجى قبوله.

وتبركنا أيضا بالدخول إلى المسجد الأقصى القديم الذي من فوقه المسجد الذي يسمى اليوم بالأقصى فانحدرنا إليه بمدارج، وهو الذي فيه محرابان : محراب إلى صوب الصخرة: القبلة الأولى ومحراب إلى جهة الكعبة المشرفة، **وبناؤه قديم من بناء سليمان عليه السلام، بالحجارة الهائلة، فقد كلت حجرا من أحجار جداره فوجدت فيه تسعة عشر شبرا في طوله، وعرضه نحو خمسة أشبار، ورأيت فيه أعظم من ذلك جدارا في طرفه أسطوانة من ثلاثة أحجار فقط منحوتا فيها شكل الاسطوانة مدوراً من نفس الحجر** الذي هو الجدار، وباقيها مستطيل.

وتبركنا بزيارة **خلوة**[3] **أبي مدين** الغوث دفين تلمسان وهي في **حارة المغاربة**.

ثم سرنا من القدس إلى بلدة حبرون[4] وتسمى اليوم بالخليل فكان خروجنا من القدس من باب يقال له باب الخليل.

ومررنا في الطريق على قبر راحيل أم يوسف عليه السلام عن يمين الطريق، عليها قبة، بينها وبين القدس نحو ساعة.

---

(1) يعلق أبو سالم العياشي على هذه الحكاية بقوله : إن هذا بعيد !!.

(2) حول ما ورد عن مياه الدنيا، ترقب ما يأتي عن البرقي في غريب الموطأ ...

(3) يلاحظ أن ابن عثمان يعبر بكلمة "الخلوة" أي "الزاوية" وليس بالقبر، وكأنه بذلك يصحح ما اشتهر عند بعض الناس من أن المكان من تأسيس الغوث أبي مدين دفين تلمسان، وقد أوضحنا منذ أوائل السبعينات أنه بالنظر لكون المؤسس لهذه الخلوة هو العالم العارف أبو مدين محمد بن أبي مدين شعيب بن الحسن، المعروف بالغوث، فقد التبس على بعض الناس أمر هذه الزاوية فاعتقد قوم أنها من أوقاف أبي مدين الجد، مع أنها كما نرى من الوثائق حول الموضوع إنما ترجع لحفيده ... وعلى قياس وجود هذه "الخلوة" بالقدس نذكر أنه يوجد بمدينة فاس بحومة الرميلة جامع يحمل اسم أبي مدين إلى الآن، كان متعبدا ومدرسة كذلك ... ومعلوم أن أبا مدين تعرض للأسر من قبل الروم أثناء جهاده مع جماعة من المسلمين، وقد توفي سنة (594هـ/1198م) على مقربة من تلمسان حيث يوجد له ضريح هناك. وبالمناسبة نذكر بزاوية أخرى كانت من وقف عمر بن عبد الله المصمودي، بتاريخ ثالث شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعمائة ... وقد ذكرها الحنبلي في الأنس الجليل II ص 45 – 46 ، د. التازي : حي المغاربة بالقدس، مجلة مركز الدراسات الفلسطينية، المجلد الأول، العدد الثالث، غشت 1972م، انظر ص 34 من هذا البحث.

(4) عن حبرون ومدينة الخليل، أنظر الأنس الجليل، ج I ص 56 – 57، مع ترجمته من قبل هنري صوفير H. Sauvaire.

ثم على قرية بيت لحم[1] وفيها المكان الذي ازداد فيه نبي اللّه وكلمته عيسَى بن مريم عليه السلام وقد بقيت عن يسارنا وأكثرها نصارى والبقعة **المباركة بأيديهم** فزرنا المكان عند مواجهته وقرأنا الفاتحة ودعونا اللّه هنالك.

ثم تمادينا على المسير فواجهنا تربة نبي اللّه يونس بن متى صاحب الحوت، بقي عن يسار الطريق على ظهر جبل فدعونا اللّه تعالى عند مواجهته، فوصلنا إلى **الخليل** على ست ساعات بالسير الحثيث وهو في قبلة القدس، **وهو أشبه شيء بمكة** عند أول نظرة مؤسس بين جبال، فنزلنا على شيخ البلد وتوضأنا وسرنا إلى المقصد الأعظم والملاذ الأفخم أبي الأنبياء سيدنا إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام، فدخلنا المسجد وملنا ذات اليمين إلى قبته وتبركنا بالمقام عند ضريحه وقرأنا عليه سورة إبراهيم، ودعونا اللّه هنالك، وكنت حقيقا بأن أنشد هنالك ما أنشده بعض الشيوخ، وهو في الدواوين مسطر ومنسوخ لابن مطروح[2] :

خليل الله قد جئناك نرجو	شفاعتك التي لا ترد
أنلنا دعوةً وأشفع تشفع	إلى من لا يخيب لديه قصد
وقل يا رب أضياف ووفد	لهم بمحمد صلة وعهد
أتو يستغفرونك من ذنوب	عظام لا تعد ولا تحد
إذا وزنت بيذبل أو شمام	رجحن ودونها رضوى وأحد
ولكن لا يضيق العفو عنهم	وكيف يضيق وهو لهم معد
وقد سألوا رضاك على لساني	إلاهي، ما أجيب وما أرد
فيا مولاهم عطفا عليهم	فهم جمع أتوك وأنت فرد[3]

وفي مقابلته ضريح أم الأنبياء سارة زوجته وهما عند باب المسجد : ضريح سيدنا إبراهيم عن يمين الداخل وزوجته أمامه، وفي داخل المسجد قريب من المحراب عن اليمين ضريح نبي اللّه إسحاق عليه السلام فتبركنا به ودعونا اللّه تعالى عند مقامه وفي مقابلته عن اليسار ضريح زوجته ربقة[4].

(1) حنا عبد اللّه جقمان : جولة في تاريخ بيت لحم ـ مطبعة القدس 1984م.

(2) القصد إلى جمال الدين بن مطروح أبي الحسن يحيى بن عيسى ... من أهل صعيد مصر، أقام بقوص مدة وتنقلت به الأحوال في الخدم والولايات، ثم اتصل بخدمة السلطان الملك الصالح أبي الفتح أيوب الملقب بنجم الدين ... وهو صاحب القصيدة في الفرنسيين عندما سمع بتأهبهم مرة ثانية لحرب مصر. ترجمه ابن خلكان الذي كان من أصدقائه ومن مراسليه، وقد قال عنه : «إن أدواته جميلة وخلاله حميدة ... وله ديوان شعر» أورد منه في وفيات الأعيان بعض القطع ... وقد ذكر من طُرَفِه أنه كتب رقعة تتضمن شفاعة في بعض أصحابه إلى بعض الرؤساء، فكتب ذلك الرئيس في جوابه : "هذا الأمر فيه علي **مشقة**" فكتب جوابه ثانيا : "لولا المشقة".

فلما وقف عليها ذلك الرئيس قضى شغله وفهم ما قصده، وهو قول المتنبي :

لو لا المشقة ساد الناس كلهم   الجود يفقر والإقدام قتال !

أدركه أجله سنة 649 هـ بمصر ودفن بجبل المقطم، وقد أوصى أن يكتب عند رأسه هذا الشعر الذي نظمه عند مرضه :

أصبحتُ بقعر حفرة مرتهنا   لا أملك من دنياي إلا كفنا

يا من وسعت عباده رحمته   من بعض عبادك المسيئين أنا !!

(3) أورد المقرى في النفح هذه الأبيات، ج I، 57.

(4) ربقة (Rébecca) بنت تنويل، الأنس الجليل I، 65 ـ عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء، طبعة مصر 1936م، ص 130.

ثم خرجنا من مسقف المسجد إلى ضريح نبي اللّٰه يعقوب بن إسحاق عليه السلام فزرناه وتبركنا به ودعونا اللّٰه في مقامه.

ثم عجنا إلى تربة نبي اللّٰه يوسف الصديق عليه السلام فزرناه وتبركنا بمشاهدته ودعونا اللّٰه هنالك، صلوات اللّٰه وسلامه عليهم أجمعين، **اللّٰهم صلي على سيدنا محمد** وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

وهذا المسجد ليس بالكبير. فمساحته مقدار ما كتب في دائرة جداره، ففي دائرة المحراب : إن إبراهيم كان أمة قانتاً للّٰه حنيفاً ولم يكن من المشركين إلى آخر السورة. ومن أول سورة يس إلى : ﴿ **ومنها يأكلون** ﴾ بخط غليظ بذوب الذهب[1].

وفي داخل المسجد في أرضه طاق مثل البئر بقرب مقام سيدنا إبراهيم تسرج فيه مصابيح ليلا ونهارا وتدلى فيه، قيل إن الأنبياء المذكورين عليهم السلام مدفونون هنالك في مغارة تحت أرض المسجد، وفي المسجد المذكور شبابيك على شكل القبور مغطاة بستور ديباج مثل ما يفعل عندنا بقبور الأولياء، جعلت في مقابله قبور الأنبياء، إلا قبر يوسف فإنه في آخر المسجد عند انتهاء الصحن في الناحية الغربية، وكذا نبي اللّٰه يعقوب خارج عن مسقف المسجد، والمسجد فوق ذلك. ويروى أن نبي اللّٰه آدم عليه السلام مدفون هنالك.

قال الإمام الحنبلي في تاريخه الأنس الجليل : وقد روى عن ابن عمر رضي اللّٰه عنه أنه قال : إن آدم عليه السلام رأسه عند الصخرة الشريفة ورجلاه عند مسجد إبراهيم الخليل عليه السلام فسماه مسجدا، وفي رواية أن قبره في مغارة بيت المقدس ومسجد إبراهيم الخليل : رجلاه عن الصخرة ورأسه عند مسجد إبراهيم عليه السلام.

وقال الشيخ البركة أبو عبد اللّٰه سيدي محمد بن عبد القادر الفاسي نفع اللّٰه به، في شرحه (الحصن الحصين)[2] عند قوله : «ولم يعرف قبر نبي بعينه إلا قبر نبينا محمد ﷺ فقط وقبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام داخل السور من غير تعيين ما نصه : وفي مناسك الشيخ خليل[3] : ما تقوله العامة من أنه ﷺ قال : من زارني وزار أبي إبراهيم في عام واحد ضمنت له على اللّٰه الجنة فليس بصحيح، ولكنه من أفعال الخير، وكذلك قول العامة : "أقدّس حجتي" وهو عندهم من تمام الحج وهو باطل لكن **يستحب** زيارة المسجد الأقصى وزيارة

---

(1) هذا التقدير للمساحة من لدن ابن عثمان فيه كثير من عدم التدقيق ! ونذكر أن الحنبلي في كتابه الأنس الجليل ذكر أن طوله، من صدر المحراب إلى صدر المشهد الذي به ضريح سيدنا يعقوب، ثمانون ذراعا بذراع العمل وهو الذراع الذي تذرع به الأبنية في عصرنا هذا، وعرضه، من السور الذي به باب الدخول إلى صدر الرواق الغربي، إحدى وأربعون ذراعا ... وسمك السور ثلاثة أذرع ونصف، إلى آخر الوصف الذي أورده.

(2) عن الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسي المتوفى 1116هـ. أنظر السلوة للكتاني ج 1 ص 316، وانظر تاريخ القرويين للتازي، ج III ص 796 - الحصن الحصين من كلام سيد المرسلين للشيخ ابن الجزري، انتهى من تأليفه بدمشق في 22 ذي الحجة عام 791هـ.

(3) ضياء الدين خليل بن إسحاق الجندي (ت 776هـ) اشتهر بمصنفه المختصر في الفقه المالكي من تأليفه المخطوطة "الجامع" في التّصوف وقفتُ عليه عند الأستاذ عبد اللطيف بلبشير. وكذا مناسك الحج، انظر "رحلة ابن مليح الحجازية" تحقيق محمد الفاسي، ص 54.

الخليل وذلك كله حسن، قال أهل العلم : وليس موضع قبر مقطوع به بعد موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم إلا موضع الخليل. انتهى.

وقال صاحبنا العلامة أبو سالم عبد الله العياشي[1] رحمه الله في رحلته : زرنا قبر خليل الله سيدنا إبراهيم عليه السلام وقبور أنبيائه الكرام سيدنا إسحاق وسيدنا يعقوب عليهما السلام وقبور أزواجهم، والقبور كلها في **مغارة** تحت المسجد، وفي المغارة طاق مفتوح في وسط أرض المسجد مثل البئر قد علقت فيها مصابيح توقد ليلاً ونهاراً، وفي أرض المسجد شبابيك على شكل القبور مغطاة بستور ديباج في مقابلة قبور الأنبياء التي في المغارة إلا قبر يوسف عليه السلام فإنه في آخر المسجد في ركنه الغربي في محل يغلق عليه ولا يفتح إلا في أوقات مخصوصة. واقتحمنا دخول المسجد اقتداءً بمن جوز ذلك من العلماء ورخص فيه وإن كان كثير من أئمتنا المالكية قد شددوا النكير في ذلك وقالوا : لا يحل دخوله لأن قبور الأنبياء **مقطوع** بأنها هنالك ولا نعلم أعيانها، فكل محل يوطأ فيه يمكن أن يكون هو موضع القبر، ولا يحل الجلوس ولا المرور على قبر مسلم، فكيف بقبر نبي ولكن العمل منذ افتتحت البلاد على خلاف ذلك، فقد صار المحل **مسجداً** تقام فيه الجمعة والجماعة على مر الأعصار، والعلماء والأخيار يفدون عليه ويسمونه في تآليفهم وأسمعتهم مسجداً وحكم المسجد ألا يمنع أحد من الدخول فيه. وقد استدل على جواز الدخول فيه الحنبلي مؤرخ القدس بما يطول ذكره[2] . وقال صاحب كتاب دفع النقمة بالصلاة على نبي الرحمة[3] ، عن **الهروي** في كتاب منازل الأرض[4] إنه سمع على الشيخ أبي طاهر الحافظ السلفي بثغر الإسكندرية سنة (بياض)[5] خبرا يرفعه إلى فلان الآدمي[6] ، ذكر فيه أن الآدمي المذكور قصد زيارة الخليل عليه السلام وصادف القيّم بالموضع المذكور فتقرب إليه بهدية وطلب منه النزول إلى **المغارة** فوعده عند انقطاع الزوار زمن الثلج، فلما انقطع الناس أتى به إلى بلاطة وأخذ ما يستضيء به، ونزلا في درج مقدار سبعين درجة وانتهيا إلى مغارة واسعة

---

(1) اشتهر الشيخ العياشي برحلته العظيمة التي تظل مرجعا صادقا لكل الجهات التي مر بها العياشي، تقع في مجلدين، طبعت على الحجر بفاس، وقد توفي عام 1090هـ/ 1679م.

(2) الأنس الجليل I، ص 60.

(3) صاحب الكتاب هو ابن أبي حجلة أحمد بن يحيى، المتوفى سنة 776هـ وقد رتب على مقدمتين وأربعين حديثا وتتمة وسبعة أبواب وخاتمة، كلها في فضيلة الصلاة على النبي، صلى الله عليه وسلم ... كشف الظنون الجزء الأول.

(4) القصد إلى الهروي الرحالة أبي الحسن علي بن أبي بكر، المتوفى بحلب سنة 611 هـ من كتبه المعروفة (الإشارات إلى معرفة الزيارات) الذي نشره المعهد الفرنسي بدمشق عام 1953م بتحقيق جانين سورديل طومين)، ومن المهم أن نعرف عن كتاب آخر له، نص عليه في آخر صفحة من كتاب الإشارات، وقال : إنه كتبه واستوعب فيه ما قدر عليه ووصل إليه في سياحته، ويظهر أنه سار فيه على خط الإشارات، هذا الكتاب اسمه "منازل الأرض ذات الطول والعرض" وهو الذي يعنيه هنا الرحالة المغربي ابن عثمان رحمه الله الذي وقف عليه فيما يبدو ... وربما فهم من الهروي أنه بعد ضياع مذكراته الأولى بالاستيلاء عليها من طرف الروم، بعد هذا ألف كتاب "منازل الأرض ..." والجدير بالذكر أن كتاب الإشارات ألف لتسجيل الأماكن المقدسة خوف اندثارها في ظروف الاحتلال على ما أشرنا إليه في التقديم (أنظر كشف الظنون II ص 1829).

(5) هنا بياض في المخطوطة، وقد وجدنا أنه يملأ في كتاب (الإشارات) بكلمة (سبعين وخمسمائة) ويحتاج إلى تأمل نظراً لما يوجد في الإشارات من حديث لاحق للهروي عن سنة 569هـ.

(6) يقول الهروي : شذ عني اسمه، فإن كتبي أخذتها الفرنج بخويلفه لما قصدهم الانكتار ملك الفرنج ثم أنفذ إلي رسوله ووعدني بإعادة ما أخذه ويضاعفه، وطلب الاجتماع بي فلم أمض إليه، وذلك سنة ثمان وثمانين وخمسمائة.

كبيرة وانتهيا لطريق فيها ولها دكة عالية عليها إبراهيم الخليل ملقى وعليه ثوب أخضر وشيبته يلعب الهواء بها وإلى جانبه إسحاق ويعقوب عليهما السلام ثم أتى به إلى حائط في المغارة فقال له : إن سارة خلف هذا الحائط، فهم الرجل أن ينظر ما وراء الحائط وإذا بصوت يقول : «إياك والحريم»، فعاد من حيث جاء والله أعلم.

قال الهروي[1] : ثم دخلت أيضا القدس سنة **تسع وستين** وخمسمائة واجتمعت فيه وفي الخليل عليه السلام بجماعة مشايخ حدثوني أنه لما كان زمن الملك (بياض)[2] انخسف موضع في هذه المغارة فدخل جماعة من الفرنج إليها بإذن الملك فوجدوا فيها إبراهيم وإسحاق ويعقوب وقد بليت أكفانهم وهم مستندون إلى حائط على رؤوسهم قناديل معلقة، رؤوسهم مكشوفة، فجدد الملك أكفانهم ثم سد الموضع وذلك في سنة **ثلاث عشرة** وخمسمائة من الهجرة النبوية.

ثم رجعنا إلى محل نزولنا عند شيخ البلد فأكرم مثوانا وأحسن نزلنا وقدم مفتي البلد للسلام علينا وبقي معنا نتحدث طرفاً من الليل، ولما قرب طلوع الفجر بساعتين فتحوا لنا الباب وخرجنا من بلدة سيدنا إبراهيم الخليل لأنه تعلق لنا غرض بصلاة الجمعة في المسجد الأقصى وقد كانت الليلة ليلة الجمعة وخشينا أن تفوتنا إذا بقينا إلى الصباح، فسرنا بقية الليل وصلينا الفجر والصبح عندما طلع الفجر وتمادينا على المسير فوصلنا إلى القدس قبل الزوال بساعتين فاسترحنا وتوضأنا وتوجهنا إلى المسجد الأقصى فصلينا فيه الجمعة ولله الحمد.

وقد رأيت أن نرسم ما يتعلق ببناء بيت المقدس، وأول من بناه ومن أعاد بناءه بعد الطوفان، ومن جدد **بناءه بعد** الخراب وما يتعلق بالصخرة المباركة وقبتها ومن بناها ؟ والمسجد الأقصى ومعراجه صلى الله عليه وسلم وكيف هو ؟ منتخبا ذلك مما يعتمد عليه من التآليف مثل الأنس الجليل في القدس والخليل[3]، ورسالة الشيخ التافلاتي **أحد أصحابنا المغاربة** المالكية لكنه انتقل إلى مذهب أبي حنيفة لما استقر ببيت المقدس وولي الفتوى هنالك[4] ...

فأول من بناه الملائكة الكرام بعد بناء البيت الحرام بأربعين عاما كما جزم به الجلال المحلي والجلال السيوطي، وكما رواه البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي ذر رضي الله

---

(1) النص كما قلنا عن الهروي أبي الحسن، المتوفى عام 611 هـ.

(2) يوجد هنا بياض عند ابن عثمان، وقد ملئ عند الهروي باسم بردويل، والقصد إلى الملك Baudoin.

(3) Histoire de Jérusalem et d'Hébron, fragments de la chronique de Mondjir -ed- dyn, Traduits par Henry Sauvaire. Edited by Fouad Suzquin, Institute for the History of Arabic-Islamic Science, Islamic Geography, Vol. 72, Frankfurt..

(4) ترجم غير واحد لهذه الشخصية المغربية التي تعتبر من أهم الجسور التي ربطت المغرب بالمشرق، ذكروا مؤلفاته العديدة، منها حسن الاستقصا لما ثبت في المسجد الأقصى، علاوة على موضوعات أخرى طريفة ومفيدة. أدركه أجله عام 1191هـ/ 1777م، عشر سنوات قبل زيارة ابن عثمان، يراجع تقديمنا لهذه الدراسة.

المرادي : سلك الدرر - الكتاني : فهرس الفهارس، طبعة 1982م - الزركلي : الأعلام - إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون - محمد ماكامان : معلمة المغرب، ج 6 مطابع سلا 1413هـ/ 1992م.

عنه قال : سألت رسول الله ﷺ عن أول مسجد وضع للناس فقال : المسجد الحرام، قلت : ثم أي ؟ قال : المسجد الأقصى، قلت : وكم بينهما ؟ قال : أربعون عاماً.

وهذا البناء قبل خلق آدم بمئات من السنين وبه صرح في الجلالين في تفسير قوله تعالى : "**إن أول بيت وضع للناس** للذي ببكة، وهو الذي يجب الاعتماد عليه ولا يعول على غيره، وبه صرح البيضاوي في تفسيره، لكن لم يقل بنته الملائكة، وقد علمت النقل عن **الجلال** المحلي **والجلال** السيوطي في ذلك[1].

وأعلم أن أول قبلة للملائكة ولآدم عليه السلام هي الكعبة المشرفة كما قال الإمام ابن عبّاس وغيره وهو القول المعتمد عليه، فبيت المقدس **ثاني القبلتين**[2] على القول المرجح.

وأما من بناه بعد البناء الأول فقال ابن هشام في التيجان[3] : إن آدم عليه السلام لما بنى البيت الحرام أمره جبريل عليه السلام بالمسير إلى بيت المقدس وببنائه، فبناه وتعبد فيه، وكان بين البناءين أربعون عاما، وزعم بعض المؤرخين أن سيدنا آدم عليه السلام لم يعلم بوجود لبيت المقدس فضلاً عن كونه بناه وهو جهل وخطأ صراح، ثم خر به الطوفان فبناه سام بن نوح عليه السلام، ثم خرب فبناه سيدنا يعقوب عليه السلام بعد بناء سيدنا إبراهيم الكعبة بأربعين عاماً كما صرح به النجم الحافظ الغيطي في معراجه[4] وغيره وعندي فيه نظر.

ثم شرع سيدنا داوود في بنائه فلما علا البناء انهدم ثم أعاد البناء فانهدم فتضرع إلى الله تعالى فأوحى الله إليه أن هذا البناء لا يتم إلا على يد ولدك سليمان[5].

ثم بناه سيدنا سليمان عليه السلام بناءً محكماً شاهقاً وأمر **الجن** فعمرته وكان علو قبة الصخرة اثنى عشر ميلاً وزينه بأنواع الجواهر واللآلئ والذهب والفضة كما بسطه المؤرخون ثم خربه بخت نصر وأخذ جميع ما فيه من الذخائر العظيمة[6].

ثم بناء الملك كورش المومن ملك الفرس بعد سبعين سنة أمره الله تعالى على لسان نبي الله أرمياء ثم خربه **طيطوس** ملك الروم لعنه الله[7].

---

(1) معظم هذه المعلومات، إن لم أقل كلها، مأخوذة من مخطوطة التافلاتي.

(2) هكذا ورد في مخطوطة التافلاتي الذي ذكر أن القول المرجوح هو الذي يقول إن بيت المقدس أول القبلتين، وينظر هذا مع السؤال : هل ذكرت الصخرة في القرآن عند ذكر الآية وما جعلنا القبلة التي كنت عليها.

(3) لعبد الملك بن هشام، المؤرخ المتوفى سنة 213هـ كتابه الشهير حول السيرة النبوية : وله كذلك كتاب التيجان في ملوك حمير. وقد ترجم في غير ما مكان.

(4) القصد إلى الشيخ نجم الدين أبي المواهب، الشيخ محمد بن أحمد الغيطي السكندري الشافعي، المتوفى عام 982 هـ. له قصة المعراج الصغرى أو الابتهاج في الكلام على الإسراء والمعراج، كما له المعراج الكبير أو قصة المعراج الكبرى وله مؤلفات أخرى مخطوطة.

(5) الأنس الجليل I، 117.

(6) الأنس الجليل I، 145.

(7) بعد هذا الخراب الثاني من الأمير تيتوس يوم 8 دجنبر سنة 70 ميلادية، لم يبق لليهود وجود في بيت المقدس ... ومن هنا وجدنا مجير الدين يعنون هذا الفصل من تاريخ القدس بقوله « ذكر زوال دولة اليهود زوالا لا رجوع بعده» ولم يكن مجير الدين يعلم عما سيحدث عام 1948م في أعقاب تصريح بالفور وزير الخارجية البريطاني بتاريخ 2 نونبر 1917م. الأنس الجليل، I، 168.

ثم بنت **هيلانة** أم قسطنطين **قبة الصخرة المشرفة**[1] فلما أكملتها دخلها سبعون ألف راهب **ليكفروا فيها**، فهدمت عليهم ولم ينج منهم أحد، فبناها النصارى ثانيا وثالثا فهدمت عليهم[2]، فأشار عليهم إبليس لعنه اللّه بأن يبنوا القمامة الكبرى فأخذوا جميع أعمدة المسجد وأحجاره وءالته الحسنة فبنوا **القمامة الكبرى** والجثمانية وبيت لحم والمصعد[3] وجعلوا سطح الصخرة والمسجد مزبلة حتى كانت النساء الحيّض من بلاد النصارى يرسلون خرقهن فترمى في المسجد !

ثم لما جاء الإسلام وفتح بيت المقدس **صلحا** على يد أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب رضي اللّه عنه كنس عنه جميع المزابل وغسل الصخرة المشرفة وبنى قطعة من المسجد للصلاة في صدر المسجد، ومازال هكذا إلى الآن يدعى بمسجد عمر، وهو عن يمين المستقبل في المسجد الأقصى وهو بلاط واحد مفتوح له قوس داخل المسجد في الصف الأول حتى جاء ملوك بني أمية فبنى **عبد الملك** بن مروان منهم هذا البناء الموجود الآن، وبسط الكلام على ذلك يطلب في **كتب التاريخ**[4].

وطول الصخرة المشرفة نيف وثمانون ذراعا، وطول سطح الصخرة المحيط بها مائة ذراع، وكل الأنبياء عليهم السلام صلّوا للقبلتين، روى الليث عن يونس عن الزهري قال : لم يبعث اللّه من هبوط آدم إلى الأرض نبيا إلا جعل قبلته صخرة بيت المقدس، وقال بعض العلماء، إلا إبراهيم فإنه لم يصل إلا إلى الكعبة خاصة.

ولا يجوز الطواف بالصخرة أو قبتها كالكعبة لأنه ما شرع اللّه الطواف إلا بالبيت الحرام، وما شرع الطواف بالصخرة ولا بقبتها في جميع الملل.

وأما الباب الذي دخل منه النبي ﷺ ليلة المعراج فهو الباب السفلي القريب من باب مسجد المغاربة.

والحلقة التي ربط بها البراق قيل : إنه كانت هنالك في صخرة من صخور المسجد يربط فيها الأنبياء دوابهم، ولما أسرى بنبينا ﷺ خرق الصخرة المشرفة بأصبعه وربط البراق هناك زيادة لشرف النبي ﷺ على سائر الأنبياء ودواب الجنة لا تبول ولا تروث، وأما الحلقة الموجودة الآن فليست محل ربط البراق بل محل ربطه أسفل من ذلك، ولكن لما أردم المحل بالأتربة جعلت الحلقة علامة على ذلك.

---

(1) يلاحظ أن قبة الصخرة بنيت أول الأمر من لدن أم قسطنطين هيلانة، قبل أن يعاد بناؤها من لدن عبد الملك بن مروان، على ما سنرى. الأنس الجليل I، 169.

(2) عن تفاصيل هذه الفترة واتفاق الأساقفة على وضع شرائع النصرانية بعد أن لم تكن. أنظر الأنس الجليل I، 170.

(3) بنت كنيسة القمامة على القبر الذي تقول النصارى إن عيسى دفن فيه، وبنت كنيسة بيت لحم بمصعد عيسى عليه السلام، وكنيسة الجثمانية التي بها قبر مريم عليها السلام، وخربت هيكل بيت المقدس، وأمرت أن يلقى في موضعه قمامات البلد وأزباله. المصدر السابق.

(4) يروي اليعقوبي، وهو من أهل القرن الثالث : أنه عندما ولي عبد الملك بن مروان الخلافة، وجد أن ابن الزبير كان يغتنم فرصة الحج ليحصل من الحجاج على مبايعة له، لذا قرر الخليفة عبد الملك بناء القبة ومنع الحجاج من الخروج إلى مكة، مستدلا بأن هذه الصخرة التي وضع الرسول قدمه عليها لما صعد إلى السماء تقوم لكم مقام الكعبة ... وهذا يعني أن السبب سياسي. ولكن المقدسي، وهو من أهل القرن الرابع، يذكر في كتابه (أحسن التقاسيم) أنه أي عبد الملك لما رأى عظم قبة كنيسة القمامة وهيأتها خشي أن تعظم في قلوب المسلمين، فنصب على الصخرة القبة التي نراها اليوم، وهذا يعني أن السبب ديني.

وأما عروجه عليه الصلاة والسلام عليه فهل من فوق الصخرة أو من موضع القبة المعروفة الآن بقبة المعراج، فالذي ذكر بعض المؤرخين أنه من فوق الصخرة وهو قول واه، والصواب أن العروج من مكان القبة المذكورة ولا خلاف فيه بين العلماء[1].

والموضع الذي صلى فيه عليه الصلاة والسلام إماماً بالأنبياء **صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين**[2] هو مكان القبة المشهورة الآن[3] بقبة بخ، بخ، وهي **شمال قبة المعراج قريبة** منها كما يشهد لذلك الحديث وليس مقامه في المحراب الذي هو غربي **الصخرة وإن ذهب إليه** بعضهم فهو غير صحيح.

وهل دخل رسول الله ﷺ تحت الصخرة وصلى هناك ؟ **فأما الدخول تحت الصخرة** فقد دخل، وأما الصلاة فلم يثبت أنه صلى تحتها ... ويسمى ذلك **المكان الذي هو داخل** المغارة تحت الصخرة **مسجد داود** كما في الشفا وشرحه للشهاب[4].

وأما النقب الذي بالصخرة فوق المغارة وتزعم العامة أنه موضع **عمامة النبي صلى** الله عليه وسلم فلا سند له عند المحدثين وإنما هو من كلام المزوّرين.

وأما المعراج فمن أي شيء هو ؟ فهو درجة من ذهب ودرجة من فضة، **وفي كتاب** شرف المصطفى[5] أنه أوتي بالمعراج من جنة الفردوس وأنه منضد، عن يمينه **ملائكة وعن** يساره ملائكة.

وأما صخرة بيت المقدس فهل هي من صخور الدنيا أو من صخور الجنة، **وفي لفظ** : سيدة الصخور صخرة بيت المقدس[6] فبعض المحدثين أبقاه على ظاهره وبعضهم حمله على المجاز، والله أعلم.

وهل هذه الصخرة **معلقة في الهواء** أم لا، **فلم يثبت فيها حديث يرجع إليه في شأنها، ولا نقل عن السلف فيها شيء بتعليق أو عدمه،** لكن نقل بعض المحدثين أنها معلقة. ونقله أرباب السير وكثير من المؤرخين من غير نكير، ويكفي هذا **في الجزم بالتعليق،** وهو شيء جائز في العقول[7].

---

(1) الأنس الجليل I، 181.

(2) الأنس الجليل I، 183.

(3) قول ابن عثمان : الآن، يعني أنها لم تكن معروفة قبل بهذا الاسم، وهو ما تؤيده الرواية التي لم تتحدث عن هذا.

(4) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، لشرف الدين الخفاجي، شرح الشفا بعنوان نسيم الرياض في شرح شفا القاضي عياض ...

(5) شرف المصطفى، لابن الجوزي المتوفى سنة 597 هـ، وهذا الكتاب في ثمانية مجلدات ...

(6) الأنس الجليل I، 236.

(7) ورد في رحلة أبي سالم العياشي : وعجائب هذه الصخرة والسلسلة التي عندها، أنها **كانت في عهد بني إسرائيل مرتفعة واقفة في الهواء** على ما ذكروا، لا يمسكها إلا الله، وأما في عصرنا هذا فقد بني بأزائها ومن تحتها، **إلى أن صار ما تحتها** شبه مغارة على هيأة مسجد ... ويدخل الناس من تحت طرفها المسمى بلسان الصخرة. وكنت أدخل إليها، **يقول العياشي ...** رحلة العياشي II، 315-316. .

قال الشهاب الخفاجي في شرحه على الشفا ما نصه : "قال البرقي في غريب الموطأ"[1] إن صخرة بيت المقدس من غرائب الدنيا فإن **جميع المياه تخرج من تحتها**، وهي صخرة صماء في وسط المسجد الأقصى كجبل بين السماء والأرض معلقة لا يمسكها إلا الله، وفي أعلاها قدم رسول الله ﷺ حين ركب البراق ليلة الإسراء، فمالت من تلك الجهة من هيبته، وفي الجهة الأخرى أثر أصابع الملائكة التي أمسكتها لما مالت، ولذا كان بعضها أبعد من الأرض. وتحتها غار عليه باب يفتح لمن يدخله للصلاة والدعاء. انتهى.

وقال الإمام أبو بكر بن العربي في شرحه لموطأ مالك[2] : صخرة بيت المقدس من عجائب فإنها صخرة قائمة في وسط المسجد الأقصى قد انقطعت من كل جهة لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه، في أعلاها من جهة الجنوب قدمه صلى الله عليه وسلم حين ركب البراق وقد مالت لهيبته ﷺ ، وفي الجهة الأخرى أصابع الملائكة التي أمسكتها لما مالت، ومن تحتها المغارة التي انفصلت تحتها من كل جهة، أي فهي معلقة بين السماء والأرض. **وامتنعتُ لهيبتها من أن أدخل تحتها** لأني كنت أخاف أن تسقط علي بذنوبي، ثم بعد مدة دخلتها فرأيت العجب العجاب : تمشي في جوانبها من كل جهة فتراها **منفصلة** عن الأرض لا يتصل بها من الأرض شيء وبعض الجهات أشد انفصالا من بعض[3].

وهذا الذي ذكره ابن العربي أن قدمه ﷺ أثر في صخرة بيت المقدس حين ركب البراق وأن الملائكة أمسكتها لما مالت قال به الحافظ ناصر الدين الدمشقي، وقد أنكر أكثر المحدثين ذلك القدم لعدم صحة السند به عندهم والله أعلم[4] .

وهل عروجه عليه الصلاة والسلام كان مستقيما أو معوجا وعلى أي كيفية كان ؟ ذكر الشيخ الغيطي في معراجه وغيره : أن العروج كان مستويا لا اعوجاج فيه، انتصب بخط مستوٍ من مكان قبة المعراج إلى باب السماء، وكيفية عروجه فيه هو أنه في حالة صعوده عليه السلام تهبط له الدرجات وترفعه درجة بدرجة إلى نهايتها، وكذلك في النزول تهبط حتى ينزل عنها ثم ترفع بالحركات في الدرجات لأمنه عليه الصلاة والسلام كما هو وصف أهل الجنة في الجنة.

وهل عرج على البراق أم تركه مربوطا في المسجد حتى رجع ؟ والراجح عند المحدثين أن البراق بقي مربوطا كما صححه المحدثون وعرج ﷺ بنفسه، وقيل إنه عرج على ظهر البراق.

---

(1) لم أهتد للوقوف على هذا التاليف (غريب الموطا) المنسوب للبرقي.

(2) سماه أبو بكر بن العربي القبس، وقال فيه عن الموطأ : إنه أول كتاب ألف في شرائع الإسلام. الأنس ج 2، 17.

(3) نعيد إلى الذاكرة التعليق السابق عن أبي سالم العياشي حول تعليق الصخرة والسلسلة، وأن ذلك كان في العهد القديم.

(4) يسوق الزياني في كتابه الترجمانة الكبرى ص 271 – 273 نصوص نقوش تاريخية أحدها بقبة الصخرة، مما أمر به المأمون سنة 216 هـ وثانيها بقبة السلسلة لما جددت سنة 596 هـ والثالث بمناسبة ترميم السقف في عهد السلطان سليمان القانوني.

وهل صخرة بيت المقدس أعلى مكان في الدنيا وأقرب إلى السماء[1] ؟ **نعم صرح بعض المحدثين أن بيت المقدس أقرب أماكن الأرض إلى السماء بثمانية عشر ميلا انتهى، ولا** شك أن الصخرة جزء من بيت المقدس فيعطي الجزء حكم الكل.

قال الحافظ بن حجر : وفيه نظر لأن أقرب أماكن الأرض إلى السماء البيت الحرام، قال بعض المحدثين : هذا النظر صحيح ولكن يلزمه من عروجه من البيت الحرام اعوجاج المعراج إلى باب السماء الذي هو فوق بيت المقدس.

وصرحوا بأن أفضل بقعة في المسجد الأقصى الصخرة المشرفة، وكلما قرب منها كان أفضل مما بعُد.

وما خفي من الصخرة المعلقة إلا أطرافها المتصلة بالتبليط والعمارة ولو أزيل ذلك التبليط والعمارة لظهرت قطعة بين السماء والأرض منفصلة عن كل شيء.

وهل فضيلة هذه الصخرة باقية أم نسخت بفضيلة الكعبة المشرفة ؟ قال علي القاري[2] في موضوعاته : **كانت صخرة بيت المقدس في شريعة بني إسرائيل فضيلتها** في الأرض كيوم السبت في الزمان، وبعد ما نسخ الله قبلتها بالكعبة صار التفضيل للكعبة ونسخ تفضيل الصخرة فهي الآن قطعة من المسجد، هكذا قال وللنظر فيه مجال، فليراجع، والدعاء في مغارتها مستجاب.

وأما الطرف الناتئ منها الذي يستقبله الإنسان عند الانحدار إلى مغارتها، ويزعم المزوّرون أنه لسانها ويقبلونه فلم يثبت في السنة أن لها لساناً وإنما هو قول المزورين لجلب الدراهم ! بخلاف الكعبة المشرفة، فقد ورد في الحديث أن لها لسانا تشهد به يوم القيامة لمن قبلها، وقصة سيدنا عمر مع سيدنا علي في ذلك مشهورة في كتب الحديث[3].

وهل لهذه الصخرة ذكر في القرآن أم لا ؟ نعم ذكرت في قوله تعالى : ﴿ **سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها** ﴾، وقوله تعالى : ﴿ **وما جعلنا القبلة التي كنت عليها ...** ﴾ فالقبلة في الآيتين المراد بها الصخرة المشرفة، وذكرت أيضا في قوله تعالى : واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب، قال المفسرون : المراد بالمكان القريب صخرة بيت المقدس[4].

---

(1) الأنس الجليل I، 227.

(2) علي بن سلطان محمد القاري الهروي، المتوفى بمكة عام 1014هـ. من كتبه "الإعلام بفضائل بيت الله الحرام" وله "الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة"، هدية العارفين، ج I ص 751.

(3) الإشارة إلى ما ورد عند قول سيدنا عمر وهو يقبل الحجر : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ... ورد أن سيدنا عليا قال : بل يا أمير المؤمنين يضر وينفع، ولو علمت من تأويل كتاب الله تعالى لعلمت أنه كما أقول، قال الله تعالى : ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى** ﴾، فلما أقروا أنه الرب عز وجل وأنهم العبيد، كتب ميثاقهم في رق وألقمه في هذا الحجر، وإنه يبعث يوم القيامة وله عينان ولسان وشفتان يشهدان لمن وافى بالموافاة فهو (أي الحجر الأسود) أمين الله في هذا الكتاب، فقال له عمر : لا أبقاني الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن !! يراجع (باب ما ذكر في الحجر الأسود) في شرح القسطلاني لصحيح البخاري.

(4) الأنس الجليل I، 227.

وأما ما ورد في فضل المسجد الأقصى فمن ذلك ما رواه النسائي وابن ماجة وغيرهما[1] أن **سليمان عليه الصلاة والسلام** لما بنى بيت المقدس سأل اللّه ثلاثاً : سأله ملكاً لا ينبغي لأحد سواه فأعطاه إياه، وسأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه، وسأله من أتى هذا البيت (يعني بيت المقدس) لا يريد إلا الصلاة فيه أن يخرجه من ذنوبه كيوم ولدته أمه، قال عليه الصلاة والسلام : وأنا أرجو أن يكون أعطاه ذلك، رواه النسائي والإمام أحمد في مسنده وصححه الحاكم.

وروى أبو داود وابن ماجة عن **ميمونة مولاة النبي** ﷺ، قلت : يا رسول اللّه أفتنا في بيت المقدس فقال : أرض المحشر والمنشر، إيتوه فصلوا فيه فإن الصلاة فيه كألف صلاة في غيره، قلت أرأيت إن لم أستطع أصلي ؟ قال فتهدي زيتا يسرج فيه، فمن فعل ذلك فهو كمن أتاه، وقد صح غير ذلك.

وأما ثواب الصلاة في المسجد الأقصى فالذي صح في ذلك من الحديث أن الصلاة فيه بخمسمائة، وصح أيضا أن الصلاة فيه بألف.

وورد في حديث مضطرب أن الصلاة فيه بأربعين ألفا وهو في سنن ابن ماجة ولا يصح الاحتجاج به، وأما رواية سبعين ألفا فلا تصح.

وهل الأقصى جميع المسجد أم البقعة المعروفة الآن التي فيها المنبر ؟ فقد أجمع العلماء على أن المسجد الأقصى هو ما أحاط به سور المسجد فيدخل فيه قبة الصخرة وجامع المالكية وجامع **قايتباي**[2] والمحل الذي فيه المنبر، وأما خصوص الأقصى بالمكان الذي فيه المنبر الآن فهو اصطلاح جديد.

وهل صلى عليه الصلاة والسلام ليلة الإسراء تحية المسجد في الأقصى أم لا، وأي موضع صلى فيه ؟ نقل في الشفا للقاضي عياض أنه صلى مع جبريل تحية المسجد في مقدم المسجد قبل أن يصلي إماما بالأنبياء.

وهل تضعيف الصلاة خاص بالمسجد أم عام بالبلد أم لا ؟ أما تضعيف الصلاة بالمسجد فقد ثبت بالأحاديث والإجماع، وقال بعض العلماء : تتضاعف في البلد كلها وقال بعضهم تتضاعف في القطر المقدس كله وذلك فضل اللّه يوتيه من يشاء واللّه ذو الفضل العظيم.

وما ورد من أن الخضر عليه السلام يصوم كل عام رمضان في بيت المقدس فقد صرح به بعض العلماء المحدثين وأورد في ذلك أثراً[3].

* * *

(1) الأنس الجليل I، 121.

(2) يعتبر السلطان الأشرف قايتباي (ت 901 هـ/1496م) من الملوك الذين حفلت أيامهم بجلائل الأعمال، ونذكر في صدرها عددا من المنشئات التي جمّل بها المدينة ... وهو الذي اشتهر بأنه استجاب لشكوى اليهود عندما هدمت كنيسهم، فأمر بإعادة البناء، وسمى القاضي الذي نفّذ أمره (قاضي الكنيس) ! فكانت أول رخصة لليهود بإنشاء معبد لهم.

(3) كان مما اختصره ابن عثمان من أجوبة التافلاتي الجواب التاسع والعشرون، ما يتعلق بمدفن نبي اللّه سليمان ووالده داود، عليهما السلام، حيث صحح أن سليمان ليس بمدفون في المسجد الأقصى، وأنهما مدفونان في الجسمانية ... وجزم بعض العلماء بأن سيدنا داود مدفون بصهيون ... أما الجواب الثلاثون فهو المتعلق بمن رمموا ما تشعث من المسجد الحرام ...

ولهذه الدولة العثمانية بهذا الحرم الشريف بل وكذا **حرم مكة والمدينة** اعتناء عظيم، وأثر جسيم فمهما سقط شيء منه إلا أعادوه، وما تلاشى جددوه، صانهم **الله تعالى** وأبقاهم وأسماهم في معارج المآثر الحميدة وأرقاهم، ولهم هناك، زيادة على إصلاح ما في الحرم من البناء، الصدقة الجارية على من في القدس من الآباء والأبناء، وعينوا هنالك **زاوية** تظل على طول الآناء أعشارها تفور، وآنيتها بالطعام تدور، في العشي والبكور. ومن انحاز له من هذه الصدقة، حظ أو نصيب، صار ملكاً له يورث عنه بالفرض والتعصيب، فإن أراد بيعه في حياته فهو كبعض شياته !.

وهذه الحسنة جارية قد مضت عليها من الزمان أحقاب، يتبع أثرها صالح الأعقاب، وكل من أتى من ملوكهم عن هذا المنهج لا يحيد، ولا ينقص بل يزيد، أدام **الله تعالى** أيامهم ونصر جيوشهم وأعلامهم[1].

وممن اجتمعتُ معه في القدس الشريف الشيخ البركة القدوة العارف **بالله تعالى** أستاذنا وشيخنا أبو السعود محمد المأذون بالخلوة القادرية والخلوتية[2]، وقد أخذت عنه وصافحته بمصافحة شيخه في الطريقة السيد مصطفى بن كمال الدين الصديقي الدمشقي البكري الخلوتي قطب عصره[3]. وأخذ أيضا عن السيد عبد القادر القادري شيخ السجادة القادرية ببغداد[4].

ومما أنشدني لنفسه مخاطباً بعض من استجار به بوارد صدر له في حالة الصلاة مما ورد له في الركوع.

قبلنا قبلنا من أناخ ببابنا ... مطية ذل واستجبنا دعاءه

طردنا طردنا من تصدى لكيده ... جعلنا جعلنا الهاشمي إمامه

فجاء خاطر يقول له : من أين لك هذا ؟ فورد عليه خاطر في حالة السجود بأن قال :

وما كان من دمع غزير فإنما ... تعلق قلبي بالعلو فأوردا

عن العالم العلوي ما كان مثبتاً ... صحيحاً عن الأملاك قد جاء مسندا

ومما أنشدنا متمثلاً ما تلقاه عن شيخه القادري المذكور وهو في جميع ذلك مشير إلينا :

وحيث اتجهتم ساعدتكم عناية ... ويرعاكم الرحمان من كل جانب

---

(1) دعوة ابن عثمان للجيش العثماني بالنصر تأتي في ظروف إعلان الحرب على روسيا التي رفعت شعار : (طريق بيزنطة).

(2) القصد إلى الفقير أبي السعود الذي ورد ذكره في بعض الوقفيات المغربية التي ذكرناها، ص 60 ت 5.

(3) هو أبو المواهب، كثير التصانيف والرحلات والنظم، ولد في دمشق ورحل إلى القدس وزار حلب وبغداد ومصر والقسطنطينية والحجاز. أدركه أجله بمصر عام 1162هـ/1749م، ترجم في غير ما كتاب، وخاصة المرادي والجبرتي ... وسيترجم له ابن عثمان.

(4) د. التازي : خطاب استقبال الأستاذ السيد أبي بكر القادري في أكاديمية المملكة المغربية يوم 29 محرم 1402هـ/ 27 نونبر 1981م.

ومن كلامه وإن كان فيه شيء من جهة الوزن :

أنا شيخ الوقت في العصر وما ... يجري في الكون أنا ملزومه !

أنا من أصل الزمان إمامه ... أنا في كل الأمور علومه !

ومن كلامه رضي الله عنه :

من يدعي حب ليلى ذاك لم ينم ... ولم يذق لذة في العيش من ألم

ولم ير غير سعدى في الوجود وقد ... أذناه أمست عن الأغيار في صمم

ولم يرد غيرها لو راودته على ... جنات خلد ولم يخش من الضرم

ومن يرى أنه بالحب متصف ... ولم يكن هكذا قد جاء بالتهم

يظن جلب المعاني من معادنها ... سهلاً وما ضرني أن كان كالبهم

ونذكر الآن ترجمة الشيخ مصطفى البكري شيخ شيخنا أبي السعود، فمن شرحه (بلغة المريد ومنتهى موفق سعيد) للشيخ مصطفى المذكور، والشرح لولده أبي الفتوح كمال الدين. هو أي الشيخ مصطفى بن كمال الدين بن علي بن كمال الدين بن عبد القادر محيي الدين أحمد بن عبد الخالق ابن عبد المنعم بن ناصر الدين بن محمد بن عوض بن يحيى بن محسن بن موسى بن يحيى بن يعقوب بن نجم الدين محمد بن أبي الروح عيسى بن شعبان بن عيسى أبي الروح عوض بن داود بن محمد بن نوح بن **سلطان المدينة المنورة** طلحة الخير بن أبي محمد عبد الله بن الإمام الصحابي الجليل عبد الرحمن بن أمير المؤمنين وخليفة سيد المرسلين **أبي بكر الصديق** رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وسلسلته في الطريق : أخذ وتلقى عن شيخه عبد اللطيف ابن حسام الدين الحلبي، وهو أخذ وتخلق عن شيخه الشيخ مصطفى أفندي الأدرنوي، وهو أخذ وتخلق عن شيخه الشيخ علي قرباش وهو الذي مات عن أربعمائة وستة وأربعين خليفة. وله شرح على فصوص الحكم[1] أتى فيه بالعجب العجاب، وهو أخذ وتخلق عن شيخه الشيخ إسماعيل الجروي، وهو أخذ وتخلق عن شيخه الشيخ عمر الفؤادي القسطموني، وهو أخذ وتخلق عن شيخه الشيخ محيي الدين القسطموني، وهو أخذ وتخلق عن شيخه الشيخ شعبان القسطموني، وهو أخذ وتخلق عن شيخه الشيخ خير الدين التمادي، وهو أخذ وتخلق عن شيخه **جلبي سلطان** المعروف بجلبي خليفة، وهو أخذ وتخلق عن شيخه بير محمد الأرزنجاني، وهو أخذ وتخلق عن شيخه السيد يحيى الشرواني، وهو أخذ وتخلق عن شيخه صدر الدين الحياني، وهو أخذ وتخلق عن شيخه الشيخ عز الدين، وهو أخذ وتخلق عن شيخه الشيخ أخي مرام الخلوتي، وهو أخذ وتخلق عن شيخه بيرعمر الخلوتي، وهو أخذ وتخلق عن شيخه أخي محمد الحلواني، وهو أخذ وتخلق عن شيخه إبراهيم الزاهد الكيلاني، وهو أخذ وتخلق عن شيخه شهاب الدين الشيرازي، وهو أخذ وتخلق عن شيخه زكي الدين النجاشي، وهو أخذ وتخلق عن شيخه قطب

(1) فصوص الحكم، للشيخ محيي الدين بن عربي، المتوفى 638هـ. لهذا الكتاب الذي اختلف الناس فيه، رداً وقبولاً، أكثر من شرح، وقد أفادنا ابن عثمان هنا بأحدها، ولم يكن معروفا عند حاجي خليفة في كشف الظنون ولا في الذيل للبغدادي ...

الدين الأبهري، وهو أخذ وتخلق عن شيخه أبي النجيب السهروردي، وهو **أخذ وتخلق** عن شيخه عمر البكري، وهو أخذ وتخلق عن شيخه وحي الدين القاضي، وهو **أخذ وتخلق** عن شيخه محمد البكري، وهو أخذ وتخلق عن شيخه محمد الدينوري، وهو **أخذ وتخلق** عن محشاد الدينوري، وهو أخذ وتخلق عن شيخه ... شيخ الطائفتين الجنيد **البغدادي**[1]، وهو أخذ وتخلق عن شيخه خاله السري السقطي[2]، وهو أخذ وتخلق عن شيخه معروف الكرخي[3]، وهو أخذ وتخلق عن شيخه داود الطائي[4]، وهو أخذ وتخلق عن شيخه حبيب **العجمي**، وهو أخذ وتخلق عن الإمام حسن البصري[5]، وهو أخذ عن أمير المؤمنين **الليث الغالب الإمام علي بن أبي طالب** رضي الله تعالى عنه، وهو عن قرة عينه وابن عمه رسول ربّ **العالمين** ﷺ، وهو عن الروح الأمين جبريل عليه السلام، وهو تلقى عن رب العزة جل جلاله، وعظم فيضه ونواله.

فهذا السند لشيخنا وقدوتنا **وعمدتنا أبي السعود نفعنا الله**[6] به.

وممن اجتمعت معه في القدس الشريف السيد الفاضل الأديب الشيخ **مصطفى بن الشيخ أبي السعود** المترجم له، فمما أنشدني لنفسه :

درى بحبي له فاختال في غيد	وصاد لحظاه قلب الصب واقتدرا
طرا على مهجتي ما لست أعرفه	والدمع قد سح من جفني واقتطرا

فقوله : واقتدرا يصح أن يقرأ **بسيطاً** على أنه من الاقتدار ويصح أن يقرأ **مركباً** من وقت ودرا.

وله أيضاً في هذا النمط :

رنا فأحكم قتلي في تلفته	والقلب واللب ذاقا السقم **وقت رنا**
لم أدر هل موطناً كان الفؤاد له	هذا المليك الذي في الحسن **أم سكنا** !

وله أيضا في ذلك النمط :

قامت تتيه دلالاً في ملابسها	ربت شجوني أمالت عطفاً واقتربت
رنت بلحظ فاصمى القلب طافقه	والروح قد سارعت للموت واقترنت !

---

(1) قال ابن الأثير في الكامل : إمام الدنيا في زمانه، وعده العلماء شيخ مذهب التصوف، لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة - أدركه أجله عام 297 هـ/910م.

(2) أول من تكلم في بغداد بأحوال الصوفية، من كلامه "من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز" توفي253 هـ/867م.

(3) اشتهر معروف بالصلاح، كان من موالي الإمام علي الرضى بن موسى الكاظم، ولد ونشأ ببغداد وفيها توفي 200 هـ/815م.

(4) أبو سليمان الطائي من أئمة المتصوفة، يقول أحد معاصريه : "لو كان داود في الأمم الماضية لقص الله تعالى شيئاً من خبره"، أدركه أجله بالكوفة عام 165هـ/781م.

(5) الحسن بن يسار البصري، حبر الأمة في زمانه وله مع الحجاج مواقف، وكتب إليه عمر بن عبد العزيز يطلب إليه ترشيح بعض المساعدين فأجابه : أما أبناء الدنيا فلا تريدهم وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك فاستعن بالله ! أدركه أجله عام 110 هـ/728م.

(6) تقدم أن القصد على ما يبدو إلى الفقير الذي ورد ذكره في وقفيات المغاربة، تأليف د. أحمد العلمي، دائرة الأوقاف العامة – عمان 1981م، ص 13، راجع التعليق 5 ص 60 والتعليق 2 ص 76.

وله أيضاً :

قاني الملاح تبدي ... ثملت إذ ما سقاني

وقام يزري ببان ... سبيت إذ ما سباني

ومما أنشدني لغيره من أهل القدس في أهل زاوية بمصر يقال لها **التمرتاشي**[1]، فاستحسنته لما فيه من **التضمين** الحسن.

يا زائراً للتمرتاشي فزد بعداً ... واحذر تقيم به من قومه البهت

قوم إذا نزل الأضياف ساحتهم ... كأنهم، هرباً، أبطال أبرهة !!

ومما أنشدني لبعض أدباء الروم من ذلك النمط :

لما انثنى قده السامي يعانقني ... أخنى على كبدي عطفاه واقتسما

فجاء يحمي فؤادي منهما جلدي ... فسل سيفيهما لحظاه واقتحما !!

يصح أن يقرأ - بسيطاً - من الاقتسام والاقتحام، ويصح أن يكون مركباً من وقت مضاف إلى سما وحما !

ويشبهه قول الآخر[2] :

رب ظبي هويته ... ينتمي للهوازنة

قلت : ما أثقل الهوى ... قال : ما للهوى زنة !

والآخر :

أهلاً بظبي حماه قصر ... كجنة قد حوت نعيما

طرقته لا أهاب سوءاً ... أباحني حبه الحريما

افدى حريقاً أباح ريقاً ... لا بل حريماً أباح ريما !

ولأهل بيت المقدس بشاشة وطلاقة وأخلاق حسنة وميل إلى مؤانسة الغريب ومسامرته والمحادثة معه ولا سيما إن كان من هذا الجنس العلمي، فلهم اعتناء به كثير، حياهم الله وبياهم، وأدام سقياهم ورياهم وإلى مكارم الأخلاق يسرهم وهيأهم.

وكان مقامنا به يومين، ثم سافرنا منه ورجعنا على طريقنا فبتنا أول يوم **بقرية سنجيل**[3] فأكرمنا أهلها إلا أنهم كثيرو التشكي من الوزراء والولاة الذين يتولون أمرهم من

---

(1) لهذا الاسم علاقة، على ما يبدو، بأسرة التمرتاشي الذين كان منهم الخطيب، المتوفى عام 1004هـ/1596م، وصالح التمرتاشي، المتوفى عام 1055هـ/1645م.

(2) من شعر الحصري الكفيف، مما ذهب به مذهب أبي الفتح البستي صاحب الطريقة الأنيقة في تجنيس القوافي، وله من هذا النوع كثير، نختار منه قوله :

فكرت في خلق الورى فاستوى ... عندي عبيد وسلاطين

أصل الفريقين - ومن أجل ذا ... قلبي عن الهم سلا - طين !!

ابن بسام : الذخيرة القسم الرابع، المجلد الأول ص 245 - دار الثقافة - بيروت 1979م.

(3) يفيد الزميل الزقرطي أنها سنجل وليست سنجيل، وسميت بذلك نسبة إلى ريمون دي سان جيل، أمير تولوز الذي شارك في الحروب الصليبية، على بعد 21 كم شمال رام الله، شمال القدس وجنوب نابلس.

قبل الدولة العثمانية صانها الله فإنهم أكَلوا اللحم ونهشوا العظم واستفوا المخ ولا حول ولا قوة إلا بالله !.

وهذه سيرتهم في جميع الايالة فكل من مررنا به يتشكى من جورهم حتى إن بعضهم سألني عما يلزم الناس في أرض المغرب، فقلت له : الزكاة والأعشار، فقالوا : وكيف الأعشار، فقلت لهم : يأخذ رب الزرع تسعة الأعشار والمزكّي العشر، فقالوا : يا ليتنا لو تركوا لنا العشر وأخذوا تسعة أعشار !!.

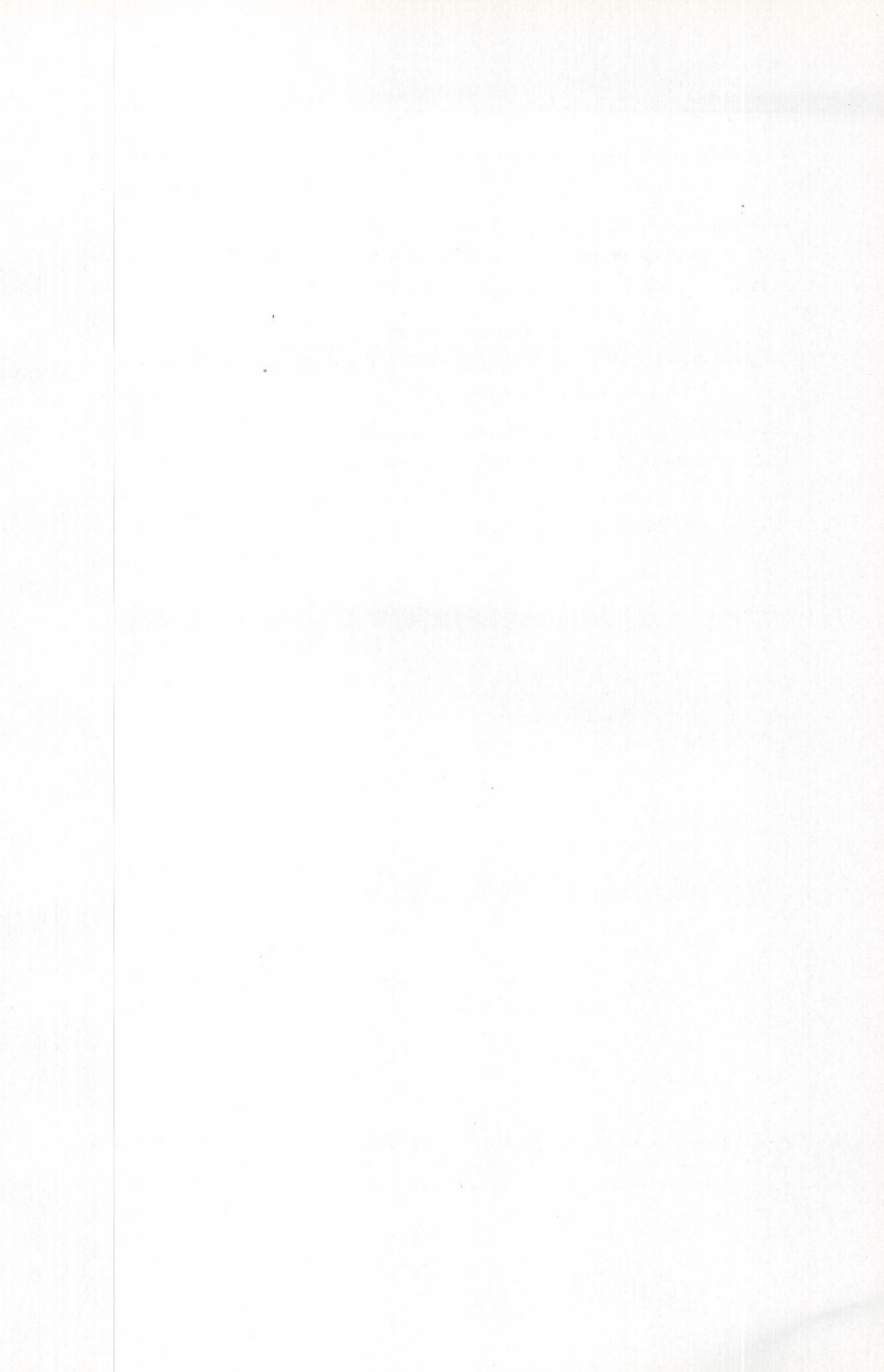
وأقبح من ذلك أن الوزراء يولون النصارى وخدامهم على (القمرق) فتجد النصراني يستلزم للوزير خراج القرية ويتولى قبض ذلك من المسلمين في مهانة والأمر لله[1].

ومن هذه القرية بتنا في قلعة سَنُور[2] فأكرمنا أهلها، ومنها إلى قرب عكة فبتنا بظاهرها، ومن الغد دخلناها بكرة فأقمنا بعكة إلى سابع وعشرين من ربيع الثاني أصلحنا في هذه المدة شؤوننا وأخذنا الأهبة للسفر وأكرمنا وزير هذه البلد جزاه الله خيرا وركبنا البحر، وكان فصل الشتاء، معتمدين على الله تعالى فسافرنا من عكة ثلاثة أيام وأرسينا بجزيرة قبرص ...

---

(1) ينتصب أمامي سؤال بارز حول ما أسمعه وأقرأه عن أسباب هجرة أهل هذه المناطق في وقت مبكر إلى القارة الأمريكية، سواء منها الشمالية أو الوسطى أو الجنوبية، فقد كنت أتلقى من بعض المتحدثين ما يفيد بأن أسلافهم القدامى لم يستطيعوا العيش في بلاد الشام التي كان المسؤولون الإداريون فيها لا يأبهون بردود الفعل التي يمكن أن تحدث نتيجة للقهر والظلم.

(2) الصواب : صانور، كما تقدم.



الملحق الأول

وقفية حي المغاربة بالقدس من لدن الملك الأفضل، المتوفى عام 622هـ/1225م سجلت بعد وفاته بنحو أربع وأربعين سنة وأعيد تأكيدها سنة 1400م

شرط وقف محلة المغاربة قيد بإذن مولانا شجاع الدين أفندي قاضي القدس الشريف، وهذا الكتاب **متصل الثبوت** والتنفيذ بحكم الشريعة إلى يومنا هذا. وقيد في اليوم السادس والعشرين من شهر شعبان سنة ألف وأربعمائة.

بسم الله الرحمن الرحيم، يشهد من أثبت اسمه وشهادته آخر هذا المحضر، وهم يومئذ من الشهود الأمناء الأحرار العقلاء المسلمين الذكور الأخيار من أهل علم وخبرة بما يشهدون به شهادة عرفوا صحتها وتحققوا معرفتها ... لا يشكون فيها ولا يرتابون ... ويلقون الله بأدائها أنهم يعرفون جميع الحارة المعروفة المسماة **بحارة المغاربة** الكائنة بمدينة القدس الشريف ... الحد الأول وهو القبلي ينتهي إلى سور مدينة القدس الشريف وإلى الطريق المسلوكة إلى عين سلوان، والحد الثاني وهو الشرقي ينتهي إلى حائط الحرم الشريف، والحد الثالث وهو الشمالي ينتهي إلى القنطرة المعروفة بقنطرة أم البنات، والحد الرابع وهو الغربي ينتهي إلى دار الإمام، شمس الدين قاضي القدس، ثم إلى دار الأمير عماد الدين بن موسكي، ثم إلى دار الأمير حسام الدين قايماز.

ويشهد شهوده أن هذه الحارة المعينة، أوقفها السلطان الملك الأفضل نور الدين علي بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب بن شادي، رحمهما الله تعالى، على جميع طائفة المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم ذكورهم وإناثهم كبيرهم وصغيرهم، فاضلهم ومفضولهم، ليسكنوا فيها من ترتيب ذلك وتفضيل من يفضله وتقديم من يقدمه، بحيث لا يتخذ شيء من المساكن ملكا ولا احتجازا ولا بيعا، وقفا مؤبدا شرعيا، ماضيا جاريا على هذه الطائفة المغاربة.

ويشهد شهوده أن النظر في ذلك، وفي كل جزء منه، وفي ترتيب أحواله ووظائفه وأموره راجع إلى من يكون شيخا قدوة من المغاربة المقيمين في كل عصر وأوان بالقدس الشريف، يتولى ذلك بنفسه وله أن يولي من اختار وآثر، ويستنيب عنه من يقوم مقامه، وله عزله إذا أراد.

ويشهدون به وبذلك كتبوا شهاداتهم في اليوم الرابع والعشرين من شهر الله رجب الفرد سنة (666هـ).

الملحق الثاني

نص وثيقة المصمودي، بتاريخ 703هـ/1303م [1]

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنان والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد ولد عدنان وعلى آله وأصحابه سلم تسليما وبعد، فقد أشهد على نفسه الشيخ الصالح الناسك العابد الخاشع الزاهد المجاهد عمر المجرد المغربي المالكي بن شيخ الشيوخ القدوة الزاهد عبد الله المغربي ابن الرجل الصالح عبد النبي المغربي المصمودي المجرد أنه وقف وحبس وسبل وتصدق وحرم جميع الثلاثة الدور الموجودين كذا بحارة المغاربة مع جميع ما يعرف بهم وينسب إليهم خارجا عنهم أو داخلا فيهم وشهرتهم كافية عن ذكر أربع حدودهم وجميع الزاوية التي أنشأها الواقف بأعلى حارة المغاربة من جهة الغرب وقدر عدة الحجرات التي بداخلها عشر حجرات بجميع حقوقها ومرافقها داخلا فيها وخارجا عنها وقفا صحيحا من جنس المغاربة وعلى الواردين من المغاربة لبيت المقدس الشريف فمن ذلك أعد الزاوية التي هي بأعلى الحارة للواردين من المغاربة وسكنا إليهم واعد غلة الثلاثة دور المذكورين على مصالح الزاوية المذكورة وعلى إطعامية العيدين والمولد الشريف، وإن فاض شيء يشترى به خبزا ويفرق في الثلاثة أشهر رجب وشعبان ورمضان على المغاربة الموجودين بالقدس. وقد جعل التولية والنظر من بعده إلى الأتقى من جنس المغاربة المقيمين القدس الشريف وإنه يتقيد المتولي والناظر على الوقف لخدمة الزاوية ولإصلاحها على حسب ما هو مشروط وإن هذا الوقف لا يرهن ولا يوهب، ولا يسلب ولا يحل لمؤمن بالله أن يبطل هذا الوقف فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدو لونه أن الله سميع عليم، في اليوم الثالث المبارك من شهر ربيع سنة ثلاث وسبعمائة والحمد لله رب العالمين.

قاضي القدس الشرعي

---

(1) أصل هذه الوثائق محفوظ في سجل أوقاف المغاربة الموجود بالمحكمة الشرعية بالقدس الشريف، وقد زودنا بنسخ طبق الأصل زميلنا سعادة السيد كمال الحمود سفير المملكة الأردنية الهاشمية ببغداد سابقاً، بمساعدة سعادة رئيس بلدية القدس السيد روحي الخطيب، وقد كان أول من تحدث عن هذه الوثائق عام (1931م) في جريدة الكلية ببيروت عدد 4،3 الأستاذ عبد الله مخلص أمين المجلس الإسلامي الأعلى وعضو المجمع العلمي بدمشق آنذاك. وقد كان ممن اهتم بهذه الوثائق زميلنا د. عبد اللطيف الطيباوي في بحثه بالإنجليزية عن المؤسسات الإسلامية الخيرية في القدس، لندن (1978م)، وبالعربية في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، أكتوبر (1979م).

الملحق الثالث

نص وثيقة وقف أبي مدين عام 720هـ/1320م

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وكفي وسلام على عباده الذين اصطفى وبعد، فهذا كتاب وقف صحيح شرعي، وحبس صريح مرعي، اكتتبه الفقير إلى الله سبحانه، الراجي عفوه وغفرانه الشيخ الإمام العالم الفاضل الورع الزاهد الخاشع السالف العارف القدوة أبو مدين شعيب بن سيدنا الشيخ الصالح العالم العامل المجاهد أبي عبد الله محمد بن الشيخ الإمام بركة المسلمين حجة الله بقية السلف الصالحين أبي مدين شعيب المغربي العثماني المالكي نفع الله ببركته وفسح بمدته، وأشهد على نفسه الزكية وهو في صحته أنه وقف وحبس وسبل وأبد وتصدق وحرم وحرر وأكد جميع المكانين الآتي ذكرهما ووصفهما وتحديدهما فيه الجاريين في يد الواقف المذكور وملكه وتصرفه وحيازته إلى حين هذا الوقف، يشهد بذلك من يعينه في رسم شهادته بآخر هذا الكتاب المبارك واحد المكانيين المذكورين وهو قرية تعرف بقرية عين كارم من قرى مدينة القدس الشريف وتشتمل على أراضي معتمل ومعطل وعامر ودائر وأوعار وسهل وصخور ساد الأتراب عليها ولا ينتفع بها بزرع وتشتمل على آثار دور برسم سكنى فلاحها وبنيان بأراضيها وبستان صغير وأشجار رمان وغير ذلك يستقى من عين مائها، وأشجار زيتون رومي وخروب وتين وبلوط وقيقب، ولها حدود أربعة تجمعها وتحصرها وتحيط بها : الحد القبلي منها ينتهي إلى المالحة الكبرى، والحد الشمالي ينتهي إلى بعض أراضي عين كاووت وقلونية وحاراش وصاطاف وزاوية البختياري، والحد الغربي ينتهي إلى عين الشرقي، والحد الشرقي ينتهي إلى بعض أراضي المالحة الكبرى وبيت موميل، بجميع حقوقها ومرافقها ومزرعها ومفلحها وأندرها ودمنها والعين الموجودة بها والنزازات والأشجار الثابتة بها والآبار الخربة وقرامي العنب العتيقة الرومية وما ينسب للقرية المذكورة وبكل حق هو من حقوقها داخلة فيها وخارجا عنها منسوب إليها خللاً ما في ذلك من مسجد الله تعالى وطريق المسلمين ومقبرة لهم فإن ذلك خارج عن هذا الوقف وغير داخل فيه. وأما المكان الثاني الموقوف فيه فإنه بالقدس الشريف بخط يعرف بقنطرة أم البنات، باب السلسلة، المشتمل على إيوان وبيتين وساحة ومرتفق خاص، وسفلى ذلك مخزن وقبو، ولذلك حدود أربعة معلومة، وقفاً صحيحاً شرعياً قاطعاً ماضياً صريحاً مرعياً وحبساً دائماً سرمداً وصدقة جارية ومعروفاً مؤكداً وسبيلاً خالصاً لأهله مؤبداً والمستحقين على الدوام وقفاً عليهم ولهم مرصداً محرماً بحرمات الله العظيم ابتغاء لوجه الكريم وطلباً لثوابه العميم يوم يجزي الله المتصدقين لا يباع ذلك ولا شيء منه ولا من حقوقه ولا من حدوده ولا يملك ولا يناقض ولا يحل عقد من عقوده.

ولا يرجع هذا الوقف لغير أهله ولا يعوض على غيرهم ولا يبتدل محفوظا على شروطه المبينة لا يبطله تقادم دهر ولا يوهنه اختلاف عصر، كلما مر عليه زمان أكده وكلما أتي عليه أوان بينه وسدده أبد الأبدين ودهر الدهرين إلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين، إنشاء الواقف المذكور أعظم اللّه له الأجور وقفه هذا على السادات المغاربة المقيمين بالقدس الشريف والقادمين إليها من السادات المغاربة على اختلاف أوصافهم وتباين حرفهم ذكورهم وإناثهم كبيرهم وصغيرهم فاضلهم ومفضولهم لا ينازعهم فيه منازع ولا يشاركهم فيه مشارك ينتفعون بذلك السكن والإيجار وسائر الانتفاعات والمقاسمة. والمزارعة على الضيع المذكورة، ويقدم في ذلك الواردين على المقيمين والأحوج فالأحوج والأدين فالأدين، فإذا انقرضت المغاربة ولم يوجد منهم أحد مقيماً بالقدس الشريف سواء كان ذكرا أو أنثى فيرجع وقفا على من يوجد من المغاربة في مكة المشرفة زادها اللّه شرفاً وعلى من يوجد منهم بالمدينة المنورة، فإذا لم يجد أحد بالحرمين الشريفين فيرجع وقفا على الحرمين الشريفين وشرط الواقف النظر والتولية بالقدس الشريف ويشهد له بالرشد والتقوى، وقد أعد المكان الثاني المندرج في هذا الكتاب زاوية سكناً للواردين الذكور من المغاربة وليس إناث المغاربة الواردات ولا لذكور المغاربة المقيمين ولا لآبائهم السكن في المكان المذكور، وعلى كل من يتولى هذا الوقف أن يبدأ بعمارته وإصلاحه وترميمه وما فيه بقاء عينه ومزيد فعله وريعه وعلى ألا تواجر القرية مع أماكن استغلالها والمقاسمة عليها أكثر من سنتين ولا يستأنف عقد حتى ينقضي العقد الأول، وقد شرط الواقف أن بعد الفايض من التعميرات أن يعمل المتولي في الثلاثة أشهر وهم رجب وشعبان ورمضان خبزا ويفرقه في الزاوية على المغاربة لكل قادم من المغرب ومقيم من المغاربة بالقدس الشريف جوازي؟ رغيفان ذكوراً وإناثاً عند تفريق الخبز بعد صلاة العصر يقرأ الحاضرون سبع فواتح والإخلاص والمعوذتين ثلاثاً ويهدي ثواب ذلك إلى حضرة النبي ﷺ لأصحابه وأتباعه ولروح الواقف ولجميع ما ينسب بالخير في هذا الوقف وشرط الواقف إطعامه في عيد الفطر وفي عيد الأضحية وفي المولد الشريف لفقراء المغاربة وشرط الواقف أن يدفع المتولي لكل قادم من الغرب محتاجاً ومقيماً بالزاوية ثمن الكسوة تقيه من البرد وإذا مات مغربي ولم يكن عنده شيء فيصرف تجهيزه وتكفينه من غلة الوقف، فقد تم هذا الوقف المبارك بتمام شروطه وأركانه وفق قواعده وصحة بنيانه ونفذ حكمه وانبرام لوقوعه من أهله في محله على الوجه المرضي لجوازه وحله ولخلوه عما يؤدي إلى نقضه وحده لكونه صار وقفاً مؤكداً وحبساً دائماً محرراً مسدداً لا يملك ولا يتصدق به ولا يرهن ولا يناقد به ولا يتعوض عنه ولا يسلب ولا يحل لأحد يؤمن باللّه واليوم الآخر ويعلم أنه إلى ربّه العظيم صاير : من أمير أو مأمور ذي سلطان جاير، أن يبطل هذا الوقف لا شيء منه ولا بغيره، ولا ينسى منه ولا يقدح فيه، ولا في شيء منه ولا يسعى في إبطاله، ولا في إبطال شيء منه جاهر ولا بايما ؟ ولا بفتوى، ولا بمشورة ولا بتدقيق حيلة يعلمه بها الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فمن فعل ذلك وأعان عليه فاللّه تعالى طليبه وحسيبه ومؤاخذه بعمله ومجازيه بفعله ويلق اللّه وهو غضبان عليه غير راضي عنه يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو

أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم اللّه نفسه واللّه رؤوف بالعباد، ومن خالف ذلك فقد عدل عن أمر ربه وتمرد عليه واستبان وعيده واستحق لعنته ولعنة اللّه لعنة اللاعنين والملائكة والناس أجمعين فالويل ثم الويل لمن خالفه وتعداه لقوله تعالى ﴿ **فمن بدله بعدما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن اللّه سميع عليم** ﴾ وقد وقع أجر هذا الوقف على اللّه رب العالمين الذي لا يضيع أجر المحسنين وأشهد عليه أحسن اللّه إليه وأجرى الخيرات على يده بجميع ما نسب إليه في هذا الكتاب بعد أن قرئ عليه من أوله إلى آخره وتلفظ بوقف ما عين وقفه فيه على الحكم المشروح فيه في الحال والحال ولشرط الشروط والنظر كما عاينه وبين بأعاليه وذلك في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة عشرين وسبعمائة أحسن اللّه تنظيمها في خير وعافية والحمد للّه ربّ العالمين وصلى اللّه عليه سيدنا محمد وآله وصحبه وعترته الطيبين الطاهرين.

قاضي القدس الشرعي

الملحق الرابع

أمر حاكم الشام بعدم تغيير وقفية أبي مدين

عام 1256هـ/1840م

افتخار الأماجد الكرام ذوي الاحترام أخينا السيد أحمد اغادزدار متسلم القدس الشريف حالا.

إنه ورد لنا أمر سامي سر عسكري مضمنه صورة اراده شريفه خديويه صادره لدولته يعرب مضمونها العالي أنه قد اتضح من صورة مذاكرة **مجلس شورى** القدس الشريف بأن المحل المستدعى تبليطه اليهود هو **ملاصق** إلى حايط الحرم الشريف **وإلى محل ربط** البراق، وهو كاين داخل وقفية **حضرة أبو مدين**، وما سبق لليهود تعمير هكذا اشيا بالمحل المرقوم، ووجد أنه غير جايز شرعيا فمن ثم لا تحصل المساعدة لليهود بتبليطه وأن يتحذروا اليهود من رفع الأصوات وإظهار المقالات ويمنعوا عنها، فقط يعطى لهم **الرخصة بزياراتهم** على الوجه القديم، وصادر لنا الأمر السامي السر عسكري باجرا العمل بمقتضى الإرادة المشار إليها فبحسب ذلك اقتضى إفادتكم بمنطوقها السامي لكي بوصوله تبادروا لاجرا العمل بمقتضاها المنيف يكون معلومكم.

في 24 ربيع الأول 1256هـ/28 ماي 1840م.

الختم

محمد شريف باشا

الملحق الخامس

قرار متولي أوقاف المغاربة
بعدم الخضوع لتغيير الوضع القائم عام 1328هـ/1911م

إن متولي أوقاف أبي مدين الغوث شعيب قدس اللّه سره قد رفع استدعاء يبين فيه أن **أفراد الطائفة اليهودية** الذين جرت عادتهم بالذهاب إلى الحائط المعروف بالبراق الكائن خارج الحرم الشريف في القدس الشريف لجهته على أن يبقوا في أثناء زيارتهم واقفين على أقدامهم، أخذوا أخيرا خلافا للعادة يجلبون كراسي للجلوس عليها أثناء زيارتهم، وبما أن **البراق من أملاك الوقف** المذكور أعلاه ويؤدي إلى زقاق غير نافذ فقد طلب المتولي المشار إليه توقيف هذه الحالة **حالاً تجنباً لادعاء اليهود** في المستقبل بملكية المكان.

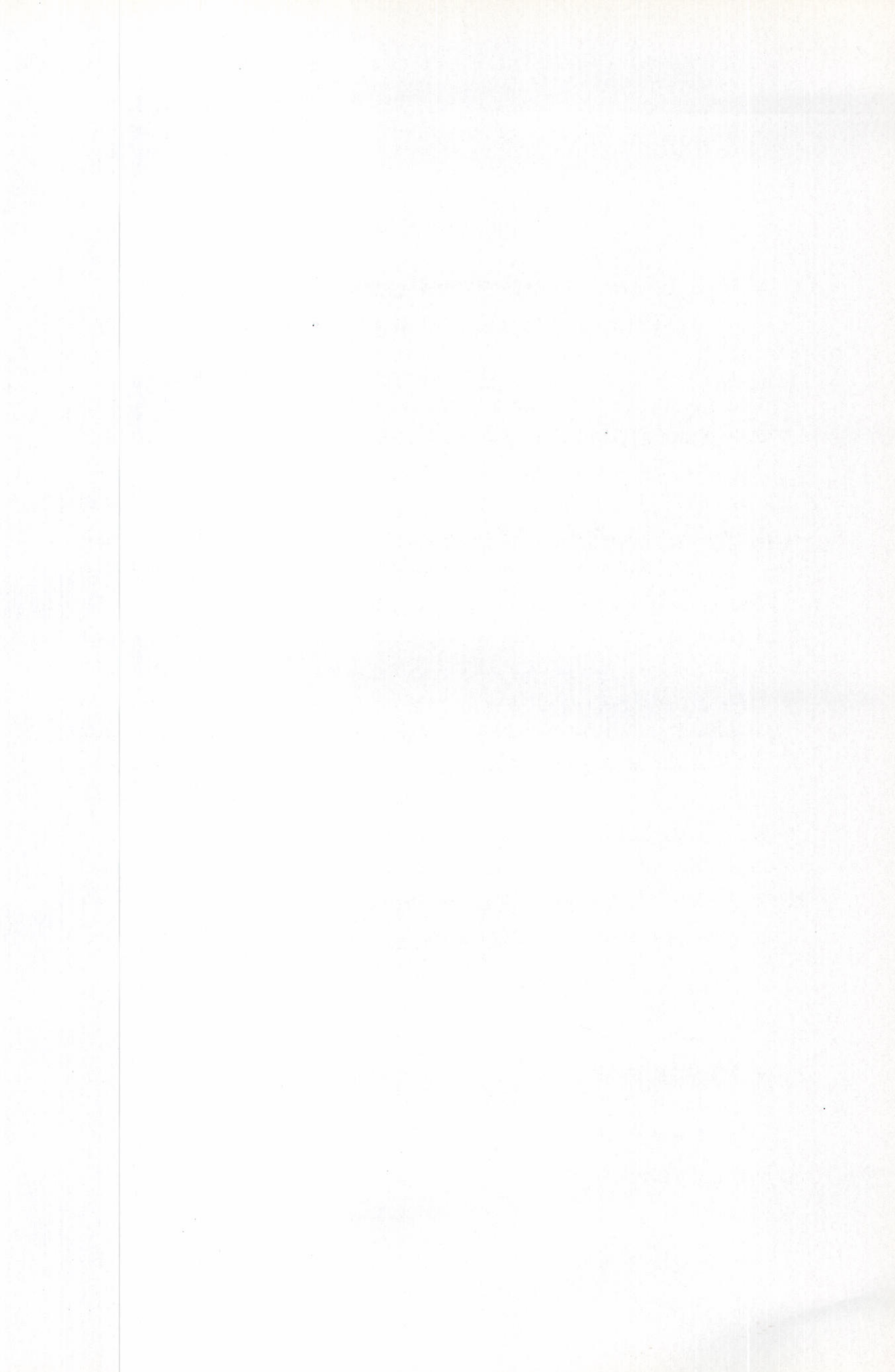
وعند تقديم الاستدعاء السابق الذكر بين فضيلة المفتي ودائرة الأوقاف والمحكمة الشرعية في مطالعتهم على الاستدعاء المشار إليه بأن الوقف المذكور كائن داخل المسقفات المجاورة لحائط المسجد الأقصى الشريف من جهته **الغربية** وهو عبارة عن زقاق غير نافذ عائد للوقف المذكور وأنه محظور بموجب الشرع من جمع الوجوه وضع كراسي أو ستار أو أشياء أخرى من هذا القبيل أو إحداث أي بدعة مما يدل على الملكية، وأنه ليس لأحد الحق في وضع أشياء كهذه أو إحداث أية بدعة مما يؤول إلى **احتلال موقع حائط** المسجد الأقصى الشريف وأنه يجب اتخاذ التدابير لمنعهم.

وبعد المذاكرة في الأمر قرر المجلس عدم السماح بوضع أشياء تعتبر بأنها من دلائل الملكية سواء في الوقف المذكور أو عند **حائط الحرم** الشريف وأنه يجب أن لا تعطى فرصة لأحد بوضع أشياء كهذه ومن الضروري المحافظة على العادة القديمة.

وعليه نرفع هذا الاستدعاء المذكور مع ملحقاته إلى سعادة المتصرف لإجراء الإيجاب.

الختم
مديرية أوقاف القدس

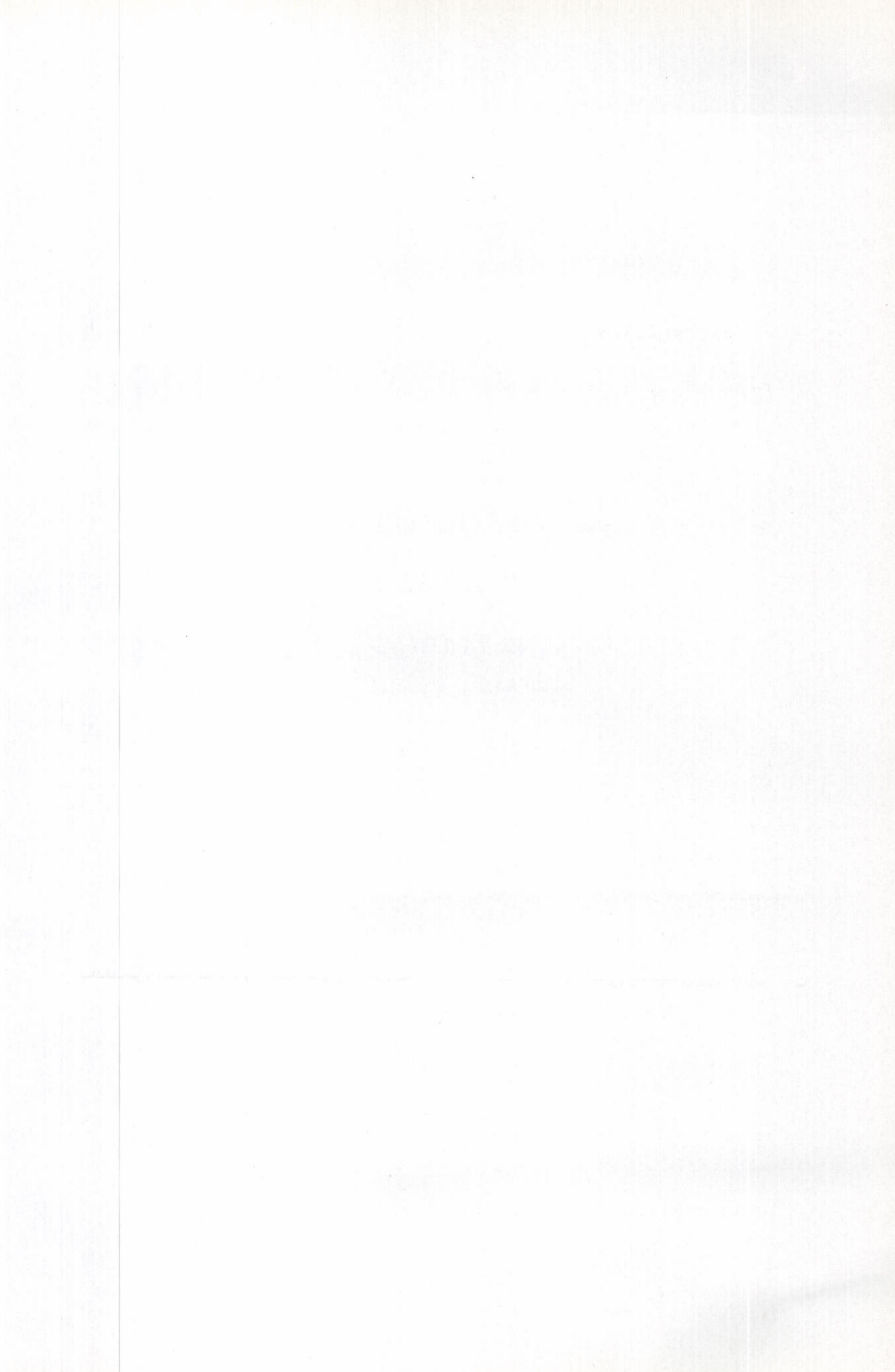
الإمضاء
عارف حكمت



نص رسالة جلالة الملك الحسن الثاني
إلى قداسة البابا بولس السادس

بتاريخ 22 ربيع الأول 1387 هـ/ فاتح يوليو 1967م

التي أوردناها مصورة في بداية التأليف



جلالة ملك المغرب
المملكة المغربية

الحمد للّٰه وحده   ولا يدوم إلا ملكه

نحن عبد اللّٰه المعتمد على اللّٰه أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين ملك المغرب.

الختم الملكي

(وبداخله)

الحسن بن محمد بن يوسف

ابن الحسن اللّٰه وليه.

وقد أحيط بالآية الشريفة

﴿ فاللّٰه خير حفظا وهو أرحم الراحمين ﴾

إلى حضرة صاحب القداسة البابا بولس السادس،

وفقكم اللّٰه مما يحبه ويرضاه، وأرشدنا وإياكم إلى سبيل الحق الذي ارتضاه.

وبعد فإنه ليسعدنا أن نوجه إليكم هذا الخطاب المعبر عن الود الخالص والتقدير المستطاب تجديداً للصلات القديمة وبعثا لعادات مستحسنة قديمة جرى عليها أجدادنا سلاطين المملكة المغربية ومن سبقكم إلى اقتعاد كرسي البابوية.

وداعيه لفت نظر قداستكم إلى خطورة العمل الذي أقدم عليه الإسرائيليون بالقدس الشريف من إلحاقهم المدينة المقدسة بالمناطق التي يسيطرون عليها من أرض فلسطين بعد أن انتهكوا حرماتها وداسوا مقدساتها واعتدوا على أهلها وعلى حكامها الشرعيين.

وإن قداستكم لتدركون أن هذا الإجراء التعسفي لا يمس بالسلطة السياسية التي تحكم القدس الشريف قبل العدوان الإسرائيلي فحسب. ولكنه يمس أيضاً بالوضع الديني للبقاع المقدسة. فمنذ قرون طويلة والمسلمون يرعون حرمة تلك الأماكن التي هي مهد سيدنا عيسى بن مريم روح اللّٰه وكلمته، ومسرى سيدنا

محمد عبد اللّه ورسوله، وفي رحابها كان أهل الأديان السماوية يتعايشون متعاطفين متسالمين حتى اطمأن النصارى وغيرهم إلى تسامح المسلمين وائتمنوهم على مفاتيح كنائسهم ومعابدهم، ولم يسجلوا عليهم يوماً من الأيام أنهم خانوا الأمانة أو أن الثقة التي وضعوها فيهم كانت في غير محلها ؛ وما ذلك إلا لعمق الصلات الروحية بين المسلمين والنصارى على الخصوص وقوة التجاوب بينهم واستحكام عرى المودة التي يشهد بها القرآن الكريم إذ يقول : ﴿ **ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون** ﴾.

ونظراً لهذه العلاقة المكينة بين الديانتين ارتأينا أن نوفد إليكم السيد علي بن جلون وزيرنا في العدل ليبلغكم تحياتنا ويعبر لكم عن تقديرنا ويعرب لكم عن رغبتنا في أن تستعمل قداستكم نفوذها الروحي لإعادة الحق إلى أهله، وإرجاع الأوضاع السياسية والدينية بالقدس الشريف وسائر الأماكن المقدسة إلى ما كانت عليه قبل العدوان الإسرائيلي. واللّه تعالى يديم على قداستكم نعمة الصحة والعافية، ويوفق جهودكم المبذولة في سبيل السلم وصالح الانسانية، ولقداستكم منا خالص المودة وفائق التقدير.

حرر بالقصر الملكي بالرباط
في يوم السبت 22 ربيع الأول عام 1387هـ
الموافق لـ فاتح يوليوز سنة 1967م.

and Spirit -` and the destination of Prophet Muhammad Abdullah's Midnight Journey. In these places, the followers of revealed religions used to live together in peace and harmony to the extent that Christians, as well as others, grew fully assured about the tolerance of Muslims. They entrusted them with the keys of their churches and places of worship, and Muslims always proved to be trustworthy. This is thanks to the deep-rooted spiritual ties and the well-established harmony and friendliness which characterize the relationship between Muslims and Christians, in particular, of which the Qur'an furnishes proof in the following Verse :

> "*And nearest among them in love to the believers wilt thou find those who say : "We are Christians" : Because amongst these are men devoted to learning and men who have renounced the world, and they are not arrogant.*"

Considering this firm relation between the two religions, we have decided to send you Mr. Ali Benjelloun, our Minister of Justice, to convey to you our greetings, express our respect to Your Holiness and manifest our desire to see Your Holiness use your spiritual influence to help the rightful claimants recover their rights, and to restore the political and religious status of the period prior to the Israeli aggression on Al-Quds Al-Sharif and the other sacred places.

May God bestow upon Your Holiness permanent good health, and bless your efforts for peace and the well-being of mankind.

With our sincere affection and highest esteem,

Drafted at the Royal Palace of Rabat,
this Saturday 22 Rabii I 1387 A.H.
corresponding to 1st July 1967 A.D.

PRAISE BE TO GOD, AND NONE BUT HIS REIGN IS EVERLASTING

His Majesty the King of Morocco

Kingdom of Morocco

We, servants of God on Whom we rely, Commander of the Faithful and son of Commander of the Faithful, King of Morocco,

The Royal Seal, bearing inside the following inscription :

Al-Hassan Muhammad Bin Yusuf Bin Al-Hassan,

May God protect him,

which Seal is encircled by the following holy Quranic verse : "*God is the best to take care (of him), and He is the Most Merciful of those who show mercy !*"

Your Holiness the Pope, Paul VI,

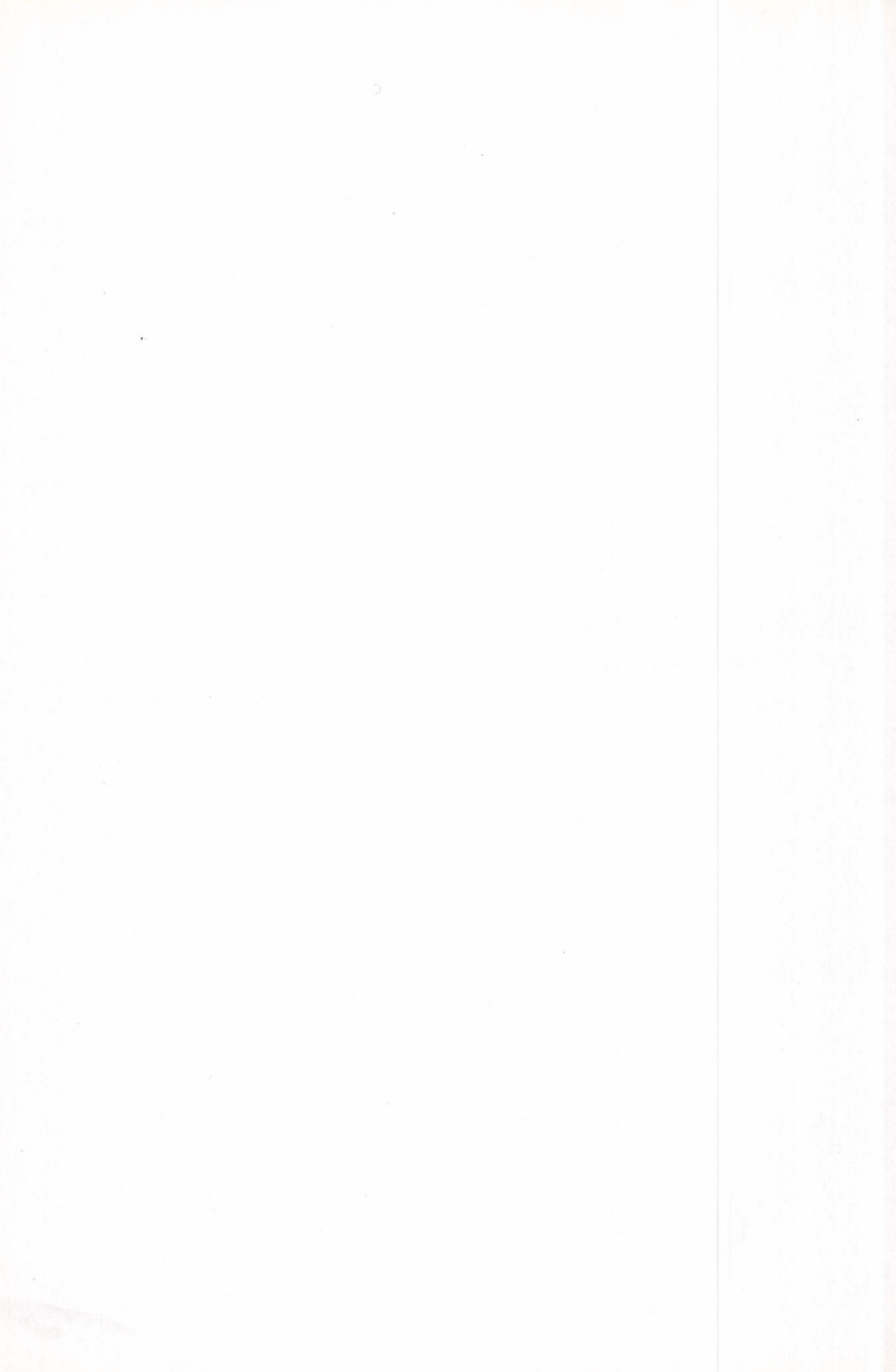
May God grant you success in your good actions and lead both of us to the right path agreeable to Him.

We are happy to send you this message, which reflects our sincere affection and high esteem toward Your Holiness, so as to renew the old ties and revive some of the laudable, long-standing tradition practised by our ancestors, the Sultans of the Moroccan Kingdom, and your worthy predecessors.

The purpose of this message is to draw the attention of Your Holiness to the seriousness of the Israeli's act of annexing the Holy City from the Palestinian territories under their control, after violating its sanctity and perpetrating aggressions against its population and legitimate officers.

Surely, Your Holiness would agree that this coercive act does not only affect the political authority ruling over Al-Quds Al-Sharif before the Israeli aggression, but it also reflects adversely on the religious status of the Sacred Lands.

For many centuries, Muslims have been preserving the sanctity of these places which are, at the same time, the birth-place of Jesus Christ - God's Word



Text of the Royal Message addressed by His Majesty King Hassan II to His Holiness Pope Paul VI

on 22 Rabii I, 1387 A.H. (1st July 1967), reproduced in the beginning.

Dada esta sólida relación entre las dos Religiones, Hemos considerado el envío a Vuestra Santidad de Nuestro Ministro de Justicia, Sr. Benjelloun para que os haga llegar Nuestros saludos y Nuestra consideración y expresaros Nuestro deseo de que Su Santidad haga uso de Su Influencia Espiritual a fin de devolver el derecho a sus dueños y restablecer la situación política y religiosa en Al-Qods y en el conjunto de los Lugares Sagrados tal como prevalecía antes de la agresión Israelí.

Que Dios os dé salud y culmine con el éxito sus esfuerzos por la Paz y en favor de la Humanidad.

Y reciba, Vuestra Santidad, Nuestra sincera amistad y el sentimiento de Nuestra alta consideración.

Hecho en El Palacio Real de Rabat
El Sabado 22 Rabii Primero de 1387
Correspondiente al Primero de Julio de 1967

Su Majestad El Rey de Marruecos

Reino de Marruecos

LOOR A DIOS

Nos Siervo de Dios, al que siempre acudimos; Emir de los Creyentes, Hijo del Emir de los Creyentes, Soberano de Marruecos.

Sello Real con la siguiente inscripción interior: Al Hassan Ben Mohammed Ben Yussef Ben Al Hassan, Dios le protege. Rodea la inscripción la honrada aleya coránica: "Pero Dios es el Mejor Guardián, es el Misericordioso de aquellos que hacen Misericordia".

A Su Santidad El Papa Pablo VI, que Dios os ayude.

Nos es grato dirigiros este mensaje que expresa Nuestra sincera amistad y la alta consideración reiterando los vínculos seculares y las antiguas tradiciones que existieron entre nuestros antepasados los Sultanes de Marruecos y Vuestros Predecesores.

Quisiéramos llamar la atención de Vuestra Santidad sobre la peligrosa acción que acaban de emprender los Israelíes al anexionar la Ciudad Santa de Al-Qods -Acharif a las zonas que ocupan en la Tierra de Palestina, después de haber violado sus recintos y sus Valores Sagrados y agredido a sus habitantes y a sus gobernantes legítimos.

Vuestra Santidad sabe que esta medida abusiva no sólo afecta la autoridad política que gobierna Al-Qods Acharif antes de la agresión Israelí, sino también la situación religiosa de los Lugares Sagrados. En efecto, los musulmanes guardan, desde hace varios siglos, estos lugares, cuna de Nuestro Señor Jesucristo y del Viaje Nocturno del Profeta Sidna Mohammed, Siervo y Enviado de Dios. Dentro de estos Lugares, cohabitaron los seguidores de las Religiones Celestiales en la Tolerancia y la La Paz hasta que los Cristianos y los demás se aseguraron de la Tolerancia de los Musulmanes confiándoles las llaves des sus Iglesias y sus Santuarios. Jamás vieron que los Musulmanes defraudaron la confianza depositada en ellos, lo que refleja la profundidad de las relaciones espirituales entre los Musulmanes y los Cristianos en particular y la fuerte armonía que había entre ellos, así como los lazos de amistad tal como atestigua el Santo Corán :" *Tú constatarás que los Hombres más próximos de los Creyentes por la amistad son aquellos que dicen : " Sí somos Cristianos porque encontramos entre ellos Sacerdotes y Monjes que no se engrien".*

Carta de Su Majestad El Rey Hassan II a Su Santidad El Papa Pablo VI

Fechada el 22 de Rabii Primero de 1387 de la Hegira correspondiente al Primero de Julio de 1967, y reproducida en la introducción de la obra.

" Proches de Vous Musulmans en affection ceux qui " affirment : " Nous sommes Chrétiens " car parmi eux sont des " prêtres et des hommes pieux qui ont fait voeu d'humilité.

En considération de ces étroites relations entre Nos deux Religions et des liens solides et profonds qui, tout au long des siècles, ont uni dans l'enceinte de Jérusalem les fidèles de l'Islam et du Christianisme, Nous avons estimé du plus haut intérêt de déléguer auprès de Votre Sainteté Monsieur Ali BENGELLOUN, Notre Ministre de la Justice.

Nous le chargeons de Vous transmettre Notre Salut, de Vous exprimer la haute estime en laquelle Nous tenons les efforts que vous déployez pour la cause de l'équité et de la paix et de Vous faire part de Notre voeu de voir Votre Sainteté user de Son audience spirituelle et de Son immense autorité dans le Monde pour que les autorités légitimes recouvrent leurs droits spoliés et pour que le statut politique et religieux de Jérusalem et de tous les Lieux Saints soit rétabli tel qu'il existait avant l'agression israélienne.

Nous implorons Dieu Très Haut de maintenir Votre Sainteté en excellente santé et de couronner de succès les efforts que Vous déployer en faveur de la Paix et du bien de l'Humanité.

Nous prions Votre Sainteté de croire à Notre sincère et haute considération.

Fait en Notre Palais Royal de Rabat
ce samedi 22 Rabii I 1387 (1er juillet 1967)

LOUANGE A DIEU

HASSAN II, ROI DU MAROC

à SA SAINTETE LE PAPE PAUL VI

SAINTETE,

Nous implorons Dieu Très Haut pour qu'Il Vous prête assistance dans l'accomplissement de ce qui Lui agrée et Nous guider, Votre Sainteté et Nous-Même, dans la voie de Sa Suprême Justice.

En fidélité aux anciennes et nobles traditions de Nos Ancêtres les Rois du Maroc, et de Vos Illustres Prédécesseurs au Saint-Siège, Nous sommes heureux d'adresser à Votre Sainteté le présent message pour Vous exprimer Notre sincère affection et Notre haute considération.

En cette circonstance, Nous voudrions d'autre part attirer Votre Haute Attention sur la gravité de la récente initiative des Israéliens dans la Ville Sainte de Jérusalem.

En annexant celle-ci aux territoires qu'ils occupent en Palestine et après en avoir profané les sanctuaires et commis une agression contre ses habitants et ses gouvernants légaux, les Israéliens, en effet n'ont pas seulement bafoué, par cette action arbitraire, l'autorité politique qui gouvernait Jérusalem avant l'agression, mais dans le même temps, et plus gravement, ils mettent en péril la situation religieuse des Lieux Saints.

Votre Sainteté sait que depuis bien des siècles les Musulmans ont scrupuleusement veillé à la sauvegarde de cette Ville qui fut le Berceau de Notre Seigneur Jésus Fils de Marie, Esprit et Verbe de Dieu, le lieu de l'Ascension de Notre Prophète Mohammed Serviteur et Envoyé de Dieu, et dans l'enceinte de laquelle les fidèles des religions révélées cohabitèrent dans un esprit de paix et d'affection mutuelles.

Cette tolérance fut telle que les Chrétiens et les adeptes d'autres confessions n'eurent aucune répugnance à confier aux Musulmans les clefs de leurs Eglises et de leurs lieux de culte. Aussi bien, jamais l'Histoire n'eut à enregistrer que cette confiance fût trahie ou mal placée. Si ces rapports traduisent une vérité, ce ne peut être que celle des profonds liens spirituels tissés particulièrement entre Musulmans et Chrétiens, cette compréhension et cette affection réciproques dont témoigne le Livre Saint du Coran :

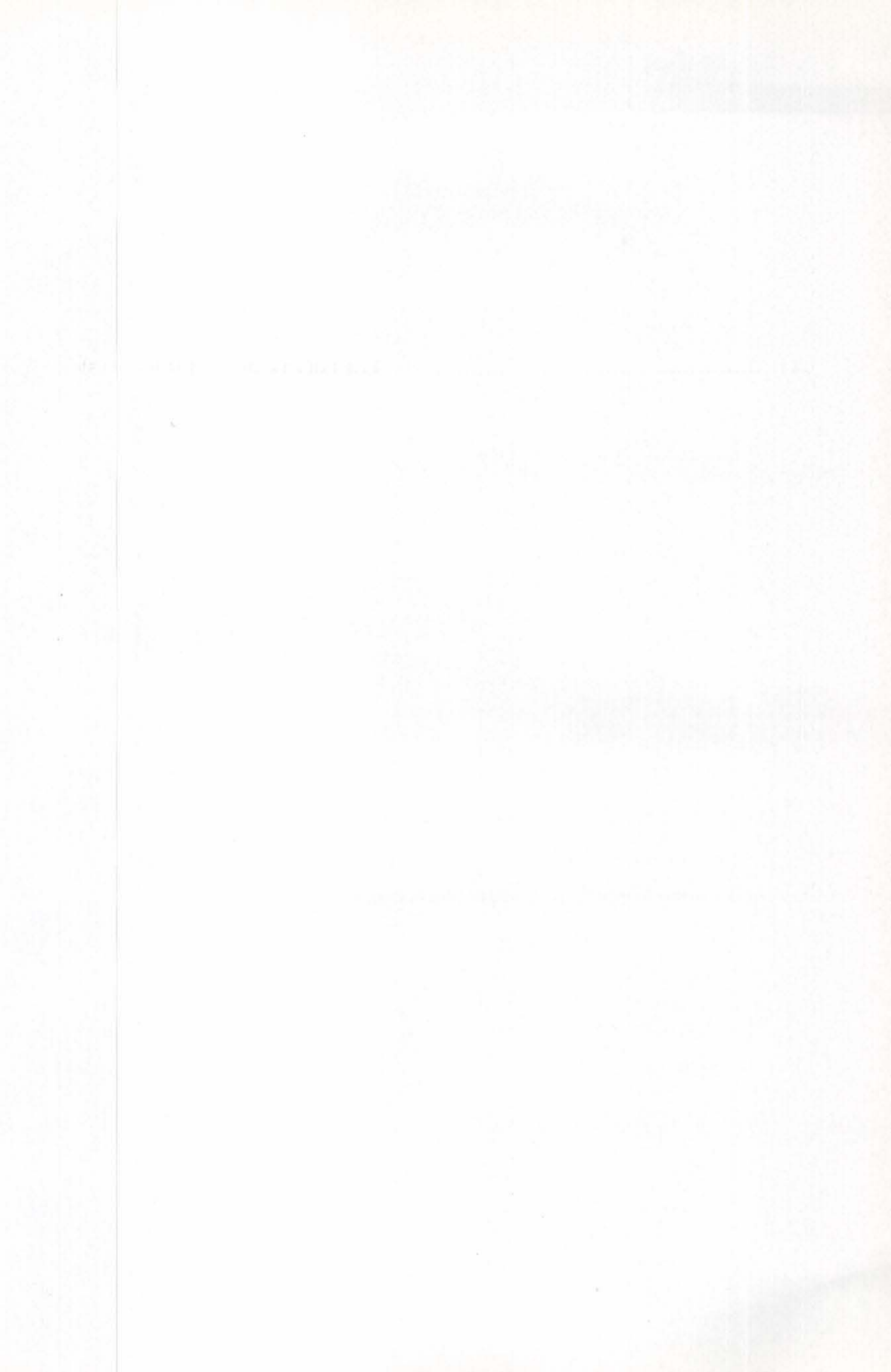


Texte du message royal adressé par Sa Majesté le Roi Hassan II à Sa Sainteté le Pape Paul VI

Le 22 Rabii I, 1387 H (1er juillet 1967), figurant au début de l'ouvrage.



صور
عكا
حيفا
عتليت
قيسارية
شفا عمرو
العفولة
يافا - تل أبيب
اسدود
القدس
الخليل



الفهرس

